

الفصل الحادي والأربعون

العرب والحبش

صلات العرب بالحبشة صلوات قديمة معروفة ترجع الى ما قبل الميلاد . فبين السواحل الافريقية المقابلة لجزيرة العرب وبين السواحل العربية اتصال وثيق قديم ، وتبادل بين السكان . اذ هاجر العرب الجنوبيون الى السواحل الافريقية وكوتونا لهم مستوطنات هناك ، وهاجر الأفارقة الى العربية الجنوبية ، وحكموها مراراً ، وقد كان آخر حكم لهم عليها قبل الاسلام بأمد قصير .

ويرى بعض الباحثين ان أصل الحبش من غرب اليمن من سفوح الجبال، وفي اليمن جبل يسمى جبل (حبش) ، قد يكون لاسمه صلة بالحبش الذين هاجروا الى افريقية وأطلقوا اسمهم على الأرض التي عرفت باسمهم، أي (حبشت) أو الحبشة^١ .

ويرون أيضاً ان (الجعر) أو (جعيزان) كما يدعون كذلك ، هم Cesani الذين وضع (بليبي) منازلهم على مقربة من (عدن) . فهم من أصل عربي جنوبي . هاجر الى الحبشة وكوتون مملكة هناك^٢ . والى هؤلاء نسبت لغة الحبش، حيث عرفت بالجعزية ، أي لغة الجعر^٣ .

1. Beiträge, S. 75, 119, Conti Rossini, in Expeditions et Possessions
des Habasat en Arable, Journal Asiatique, 1921, P. 5, Die Araber, I, S. 114.
E. Littmann, in : Handbuch der Orientalistik, III, 2-3, 350, 376.
2. Die Araber, II, S. 274.
3. Die Araber, I, S. 114.

ويظن ان العرب الجنوبيين هم الذين موتوا السواحل الافريقية المقابلة بالعناصر السامية . وكانوا قد هاجروا مراراً اليها، ومن بين تلك الهجرات القديمة ، هجرة قام بها السبثيون في القرن الخامس قبل الميلاد. وقد هاجر معهم (الحبش) في ذلك الوقت أيضاً . وقد توقف سيل الهجرات هذه حين تدخل (البطالمة) في البحر الأحمر، وصار لهم نفوذ سياسي وعسكري على جانبي هذا البحر. غير أنها لم تنقطع انقطاعاً تاماً ، إذ يرى بعض الباحثين أن العرب كانوا قد دخلوا الحبشة والسواحل الإفريقية المقابلة فيما بعد الميلاد أيضاً ، فنزحوا اليها فيما بين السنة (٢٣٢) والسنة (٢٥٠) بعد الميلاد مثلاً ، حيث ركبوا البحر ونزلوا هناك^١ .

وقد تبين أن السبثيين كانوا قد استوطنوا في القرن السادس قبل الميلاد المناطق التي عرفت باسم (تعزية) Ta'izziya من أرض (أريتريا) ونجد الحبشة ، وكونوا لهم حكومة هناك . وأمدوا الأرضين التي استولوا عليها بالثقافة العربية الجنوبية^٢ . ولم يقطع هؤلاء السبثيون صلاتهم بوطنهم القديم ، بل ظلت أنظارهم متجهة نحوه في تدخلهم وهم في هذا الوطن بشؤونهم وارسالهم حملات عليه واحتلالهم له في فترات من الزمن . ولعل ما جاء في أحد النصوص من (مصر) الحبشة ، قصده به هؤلاء الذين كانوا قد استوطنوا تلك المنطقة من إفريقيا^٣ .

وفي القرن السادس قبل الميلاد، كان الأوسانيون قد نزحوا الى السواحل الافريقية الشرقية ، فاستوطنوا الأرضين المقابلة لـ Pemba و (زنبار) Zanzibar وهي (عزانيا) Azania ، وتوسعوا منها نحو الجنوب . وقد عرف هذا الساحل في كتاب « الطواف حول البحر الأريتري » ، باسم Ausanteae ، وهو اسم يذكرنا ب (أوسان) . وقد ذكر مؤلف الكتاب ، أنه كان خاضعاً في أيامه (القرن الأول بعد الميلاد) ، لحكام Mapharitis^٤ . ويريد بهم حكام دولة (سبأ وذو ريدان)^٥ .

وقد عثر الباحثون على حجر مكتوب في حائط كنيسة قديمة بالقرب من

Die Araber, I, S. 126. ١

Arabien, S. 25. ٢

Glaser 1076, Arabien, S. 25. ٣

Periplus Maris Erythraei, 22, Arabien, S. 25. ٤

Arabien, S. 25. ٥

(أكسوم) ، وإذا به كتب بالسبئية ، وفيها اسم الإلهة السبئية (ذت بعدن) (ذات بعدن) (ذات البعد) وعثر على بقايا أعمدة في موضع (بحا) الواقع شمال شرقي (عدوة) Adua ، تدل على وجود معبد سبئي في هذا المكان ، كما عثر على مذبح سبئي خصص بالإله (سن) (سين) . وعثر على كتابات وأشياء أخرى تشير كلها الى وجود السبئيين في هذه الأرضين^١ .

وعرف ملك الحبش بـ (النجاشي) عند العرب . واللفظة لقب تطلقه العربية على كل من ملك الحبشة ، فهي بمنزلة (قيصر) ، اللفظة التي يطلقها العرب على ملوك الروم ، و (كسرى) التي يطلقونها على من حكم الفرس ، و (تبع) التي يطلقونها على من يحكم اليمن . أما في العربية الجنوبية ، فقد أطلقت لفظة (ملك) على من ملك الحبشة . وقد ورد (ملك اكسمن) ، أي (ملك اكسوم) وورد (ملك حبشت) ، أي ملك الحبشة . فأخذ العرب اللفظة من الحبش . وهي في الحبشية بمعنى جامع الضريبة ، والذي يستخرج الضريبة ، فهي وظيفة من الوظائف في الأصل ، ثم صارت لقباً^٢ . وورد في بعض النصوص العربية الجنوبية اذ لقب به (جدرة) مثلاً^٣ .

ويظن ان مملكة (أكسوم) التي ظهرت في أوائل أيام النصرانية ، قد كانت دولة أقامها العرب الجنوبيون في تلك البلاد . وقد استطاع الباحثون من العثور على عدد من الكتابات تعود الى ملوك هذه المملكة ، دون بعض منها باليونانية مما يدل على تأثير ملوك هذه المملكة بالثقافة اليونانية وعلى وجود جاليات يونانية هناك نشرت ثقافتها في الحبشة . وقد عرفت هذه المملكة بمملكة (أكسوم) (اكسمن) نسبة الى عاصمتها مدينة (اكسم) (أكسوم)^٤ .

وقد كان ملوك أكسوم وثنيين . بقوا على وثنتهم الى القرن الرابع أو ما بعد ذلك للميلاد . ويظن ان الملك (عزانا) Ezana وهو ابن الملك (الاعميدا) Ela-Amida ، هو أول ملك تنصر من ملوك هذه المملكة وذلك لعثور الباحثين على آثار تعود الى عهده ، تربينا القديمة منها أنه كان وثنياً ، وتربينا الحديثة منها

Handbuch, I, S. 34. ١

Die Araber, II, S. 293. ٢

Die Araber, I, S. 115, II, S. 295. ٣

Die Araber, I, S. 114. ٤

أنه كان نصرانياً ، مما يدل على أنه كان وثنياً في أوائل أيام حكمه ، ثم اعتنق النصرانية ، فأدخل شعارها في مملكته ، وذلك بتأثير المبشرين عليه^١ .

وفي جملة ما يستدل به على تأثير العرب الجنوبيين في الحبش ، هو الأبجدية الحبشية المشتقة من الخط العربي الجنوبي . وقرب لغة الكتابة والتسدين عندهم من اللهجات العربية الجنوبية . وبعض الخصائص اللغوية والنحوية التي تشير إلى أنها قد أخذت من تلك اللهجات . ثم عثور العلماء على أسماء آلهة عربية جنوبية ومعروفة في كتابات عثر عليها في الحبشة والصومال . ووجودها في هذه الأرضين هو دليل على تأثر الأفريقيين بالثقافة العربية الجنوبية، أو على وجود جاليات عربية جنوبية في تلك الجهات .

وكما تدخل العرب في شؤون السواحل الإفريقية المقابلة لهم ، فقد تدخل الأفريقيون في شؤون السواحل العربية المقابلة لهم . لقد تدخلوا في أمورها مراراً . وحكموا مواضع من ساحل العربية الغربية ومن السواحل الجنوبية وتوغلوا منها إلى مسافات بعيدة في الداخل حتى بلغوا حدود نجران .

ويظهر من الكتابات الحبشية ، أن الحبش كانوا في العربية الجنوبية في القرن الأول للميلاد . وقد كانوا فيها في القرن الثاني أيضاً . ويظهر أنهم كانوا قد استولوا على السواحل الغربية ، وهي سواحل قريبة من الساحل الأفريقي ومن الممكن للسفن الوصول إليها وانزال الجنود بها . كما استولوا على الأرضين المسماة بـ Kinaidokolpitae في جغرافية (بطلميوس)^٢ .

ورود في نص من النصوص الحبشية ، أن ملك (أكسوم) ، كان قد أخضع السواحل المقابلة لساحل مملكته ، وذلك بإرساله قوات برية وبحرية تغلبت على ملوك تلك السواحل من الـ (Arrhabite) (الأرحب) (الأرحبية) (أرحب)^٣ والـ Kinaidokolpite ، وأجبرتهم على دفع الجزية ، وعلى العيش بسلام في البر

Handbuch, S. 34, D.H. Müller, Epigraph., S. 37.

44, Aksum Expedition, 1913, BD., IV, S. 32.

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498.

١ (أرحب : حي أو مكان . وفي المعجم : أنه مخلاف باليمن يسمى بقبيلة كبيرة من همدان) ، (أرحب : بلد على ساحل البحر بينه وبين ظفار نحو عشرة فراسخ) ، تاج العروس (٤٩٢/٢) ، (طبعة الكويت) ، (رحب) .

وفي البحر . ويرى بعض الباحثين أن المراد بـ (Arrhabite) بدو الحجاز . وأن Kinaidokolpita ، هم (كنانة) . وأن السواحل التي استولى الأحباش عليها تمتد من موضع (لويكه كومه) Leuke Komé (القرية البيضاء) الى أرض السبثين^١ .

ويرى (فون وزمن) أن احتلال الحبش لأرض Kinaidokolpita ، الأرض المسماة باسم قبيلة لا نعرف من أمرها شيئاً ، والتي ورد اسمها في كتابة Monumentum Adulitanum فقط وفي جغرافية (بطلميوس) ، كان قبل تدوين تلك الكتابة وربما في حوالي السنة (١٠٠) بعد الميلاد . ويراد بها ساحل الحجاز وعسير من ينبع Iania في الشمال الى السواحل الجنوبية الواقعة على البحر العربي شمال (وادي ييش) ، فشملت الأرض المذكورة والتهائم والساحل كله^٢ .

غير اننا نجد أن مؤلف كتاب (الطواف حول البحر الأريترى) يشير من جهة أخرى الى أن الساحل الأفريقي المسمى بـ (تنجانيقا) في الوقت الحاضر كان في أيدي الحميريين في ذلك الوقت^٣ . ومعنى ذلك ان ملك حير استطاع في أيام ذلك المؤلف من الاستيلاء على ذلك الساحل ومن ضمه الى ملكه . كما فعل أهل حضرموت وعمان فيما بعد .

ووردت جملة (احزب حبشت) في النص الموسوم بـ (CIH 314+954) . وهي تشير الى وجود (أحزاب) أي جماعات من الحبش في العربية الجنوبية . وقد يراد بها مستوطنات حبشية وقوات عسكرية كانت قد استقرت في تلك البلاد^٤ . كما وردت في النص الموسوم بـ Ryckmans 535 الذي يتحدث عن حرب أعلنها (الشرح يحضب) على (احزب حبشت) ، و (ذى سهرتن) و (شمر ذى ريدان)^٥ .

وأشار (اصطيغان البيزنطي) الى قوم دعاهم Abasynoi ، يظهر من قوله ان مواطنهم كانت في شرق حضرموت . ويفهم من كلامه أن هؤلاء كانوا حبشاً

-
- | | |
|--|---|
| Belträge, S. 119. | ١ |
| Le Muséon, 1964, 3-4, P. 472. | ٢ |
| Le Muséon, 1964, 3-4, P. 480. | ٣ |
| Die Araber, II, S. 275. | ٤ |
| Le Muséon, 1956, P. 154, Die Araber, II, S. 275. | ٥ |

يقيمون في هذه الأرضين . وقد يكونون قد استولوا عليها بانقوة وألحقوا ما استولوا عليه بمملكة أكسوم^١ .

وورد في كتابات تعود الى أيام (علهان نهان) ، بأن هذا الملك كان قد تفاوض مع (جدرت) (جدرة) ملك (أكسوم) والحبيشة لعقد صلح معه . ويظهر من جملة « واقول وقدمن واشعب ملك حبشت » ، أي « وأقبال وسادات وقبائل ملك الحبيشة » ، الواردة فيها ، أن ملك الحبيشة كان يحكم جزءاً من العربية الجنوبية في ذلك الوقت ، وان الملك (علهان نهان) تفاوض معه لتحسين العلاقات السياسية فيما بينه وبين الحبش ولضمان مساعدتهم في حروبه مع منافسيه وخصوصه^٢ . ويرى (فون وزمن) أن تلك المفاوضات كانت قد جرت في حوالي السنة (١٨٠) بعد الميلاد^٣ .

وقد عقد (علهان) حلفاً مع الحبش ، ويظهر أنه عقده بعد انتهائه من الحرب التي أعلنها على حير . تلك الحرب التي اشترك الحبش فيها أيضاً وكذلك أهل حضرموت . ولما عقد (علهان) الحلف مع الحبش ، كان ابنه (شعر أوتر) قد اشترك معه في الحكم^٤ .

ولم يدم الحلف الذي عقد بين (علهان) وابنه (شعر أوتر) من جهة والحبش من جهة أخرى ، إذ سرعان ما نقض ووقعت الحرب بين (شعر أوتر) وبين (الحبش) على نحو ما ذكرت في أثناء حديثي عن حكم (شعر أوتر) . إلا أنه لم يتمكن من القضاء عليهم ، ولم يزههم عن اليمن . بل بقوا في الأرضين التي كانت خاضعة لهم والتي تقع في الجزء الغربي من اليمن^٥ .

وقد جاء اسم (جدرت) (جدرة) على هذه الصورة : (جدر نجش اكسم) في النصوص . وورد على هذه الصورة : (جدرت ملك حبشت واكسمن) في النص الذي وسم بـ Jamme 631^٦ . ومعنى الجملة الأولى (جدر نجاشي أكسوم) .

Die Araber, II, S. 275.

Nami 71 + 73, CIH 308.

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 47. 1.

CIH 308, 308a, Le Muséon, 1964, 3-4, P. 471.

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 475.

Die Araber, II, S. 284, IV, S. 274.

ومعنى الجملة الثانية (جلدرة ملك الحبشة وأكسوم) . وقد قدر بعض الباحثين زمان حكم هذا النجاشي بحوالي السنة (٢٥٠) بعد الميلاد^١ .

ويظهر أن الحبش كانوا قد تمكنوا من دخول (ظفار) عاصمة حير ، وذلك فيما بين السنة (١٩٠) و (٢٠٠) بعد الميلاد . وذلك في أيام (لعز زيهنف يهصدق)^٢ . ولا ندري الى متى بقوا فيها . والظاهر أن حكمهم فيها كان قصيراً .

وقد كان نزول الحبش في أرض اليمن في أيام حكم الملك الحبشي (عذبة) على ما يظن . وكان هذا الملك على صلوات حسنة بالرومان ، ففتح بلاده للمصنوعات الرومانية النفيسة ، وظل الحبش في اليمن في أيامه حتى وفاته ، فلما توفي أو عزل تولى ملك آخر مكانه هو (زوسكالس) Zoskales وقد أدى هذا التغيير الى تبدل الحال ، اذ اضطر الحبش الى التزوج من الأماكن التي كانوا قد استولوا عليها . ويرى بعض الباحثين ان ثورة قامت في الحبشة على حكم (عذبة) وأحلت (زوسكالس) محله . فانتهز أهل اليمن فرصة انشغال الحكومة بالاضطرابات التي وقعت بهذه الثورة ، ونهضوا على الحبش فأخرجوهم عن ديارهم ، وأخرج الحبش من السواحل التي كانوا قد استولوا عليها ، المعروفة بـ Kinaidokolpitae ، ويراد بها ساحل الحجاز وعسير^٣ .

ووردت في النص الموسوم بـ (Ryckmans 535) ، لفظة (وذب ه) (وذب) (وذب) ثم ذكرت بعدها جملة : (ملك اكسمن) ، أي (ملك أكسوم) ، أو (ملك الأكسوميين) . وهو الملك الذي استعان به (شمر ذو ريدان) . وقد قرأ بعض الباحثين لفظة (وذب) على هذه الصورة (عذبة) أو (وزبه) . وذهبوا الى أنه ملك الحبشة الذي استعان به (شمر ذو ريدان)^٤ ، والذي تدخل في شؤون اليمن فيما بين السنة (٣٠٠) و (٣٢٠) بعد الميلاد^٥ .

ويظهر من اللقب الطويل الذي تلقب به ملك (أكسوم)، أي الحبشة Ethiopia وهو الملك (عيزانا) Ezana ، أن اليمن وما جاورها من أرضين كانت خاضعة

Le Muséon, 1958, 147, Die Araber, II, S. 285.

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498.

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 480.

Die Araber, II, S. 285.

Die Araber, II, S. 295.

لحكم الحبش في أيامه أيضاً . أما لقبه الذي تلقب به فهو : (ملك اكسوم وحمير وريدان وسبأ وسلحجن) ، ويذكر بعد هذا اللقب أسماء ثلاثة مناطق افريقية كانت تحت حكمه ، ثم ختم هذا اللقب بتتمته ، وهي جملة : (ملك الملوك)^١ . و (سلحجن) (سلحجن) ، هو قصر ملوك سبأ وذو ريدان بمأرب .

وكان الملك (عيزانا) (عزانا) ، قد دخل في النصرانية بتأثير المبشر (فرومتيوس) ، الذي أرسله اليه الملك (قسطنطين) ملك البيزنطيين عام (٣٥٠) للميلاد أو (٣٥٦) . وقد فرض هذا الملك النصرانية على شعبه وأعلنها ديانة رسمية لمملكته كما جعلها الديانة الرسمية للعربية الجنوبية^٢ .

وكانت العربية الجنوبية خاضعة لحكم أبيه ، ولعله هو الذي أدخلها في حكمه . إذ كان أبوه وهو (الاعميدا) (Ella 'Amida) ، قد لقب نفسه باللقب المذكور^٣ . ويرى بعض الباحثين أن حكم (عيزانا) لم يكن فيما بين السنة (٣٣٠) و (٣٥٠) بعد الميلاد أو بعد ذلك كما ذهب الى ذلك بعض الباحثين ، بل كان في حوالي السنة (٤٥٠) للميلاد . ويرى أن ملكاً آخر كان قد تدخل في شؤون اليمن واستولى على ساحل (Kinaidokopitae) ، هو الملك (سمبروتس) (Sembruthes) وقد حكم على رأيهم في حوالي السنة (٤٠٠) بعد الميلاد^٤ .

ويرى بعض الباحثين أن الحبش استولوا على العربية الجنوبية بعد وفاة (شمر يهرعش) ، وأن ذلك كان في حوالي السنة (٣٣٥ م) . وأن (ثيوفيلس) نصرّ عرب اليمن في حوالي السنة (٣٥٤ م) ، إذ أنشأ كنيسة في (ظفار) . وقد صار رئيس أساقفة (ظفار) يشرف على الكنائس التي أنشئت في اليمن وفي ضمن ذلك كنيسة (نجران) والكنائس الأخرى التي بنيت في العربية الجنوبية الى الخليج^٥ .

وأعرف تدخل للحبش في العربية الجنوبية ، تدخلهم في شؤون اليمن في النصف الأول للقرن السادس واحتلالهم اليمن ، إذ بقوا فيها أمداً حتى ثار أهل اليمن

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 448.

Handbuch, I, S. 35, 36.

Handbuch, I, S. 36, 104, E. Littmann, Deutsche Aksum Expedition.

Altheim-Stiehl, Geschichte der Hunnen, 5, 175, Die Araber, II, S. 295.

Grohmann, S. 29.

عليهم ، فتمكنوا من انقاذ بلادهم من الحبش بمعونة من الفرس . وتركوا بذلك اليمن أبداً .

ويظهر من بعض الكتابات أن حصن (شمر) والسهل المحيط به كان في أيدي الحبش ، وقد ورد فيها اسم موضع (مخون) ، وهو (مخا) . ويرد اسم هذه المدينة لأول مرة . وتتناول هذه الكتابات حوادث وقعت سنة (٥٢٨) بعد الميلاد .

وتبدأ قصة دخول الحبش الى اليمن على هذا النحو : لما قتل ذو نواس من أهل نجران قريباً من عشرين ألفاً ، أفلت منهم رجل يقال له (دوس ذو ثعلبان) أو رجل آخر اسمه (جبار بن فيض) أو غير ذلك ، ففسر على فرس له ، فأعجزهم حتى خرج فوصل الحبشة، وجاء الى ملكها ، فأعلمه ما فعل (ذو نواس) بنصاري نجران ، وأتاه بالانجيل قد أحرقت النار بعضه ، فقال له : الرجال عندي كثير ، وليست عندي سفن . وأنا كاتب الى قيصر أن يبعث إليّ بسفن أحمل فيها الرجال ، فكتب الى قيصر في ذلك وبعث اليه بالانجيل المحرق . فبعث اليه قيصر بسفن كثيرة عبر فيها البحر ودخل اليمن^١ .

وفي رواية أخرى ان (دوس ذو ثعلبان) قدم على قيصر صاحب الروم ، فاستنصره على (ذي نواس) وجنوده وأخبره بما بلغ منهم ، فقال له قيصر : بعدت بلادك من بلادنا ونأت عنا ، فلا نقدر على أن نتناولها بالجنود . ولكني سأكتب لك الى ملك الحبشة ، فانه على هذا الدين ، وهو أقرب الى بلادك منا ، فينصرك ويمنعك ويطلب لك بئارك ممن ظلمك . فكتب معه قيصر الى ملك الحبشة يذكر له حقه وما بلغ منه ومن أهل دينه ، ويأمره بنصره وطلب ثأره ممن بغى عليه وعلى أهل دينه . فلما قدم دوس ذو ثعلبان بكتاب قيصر على النجاشي ، بعث معه سبعين ألفاً من الحبشة ، وأمر عليهم رجلاً من أهل الحبشة يقال له أرياط ، وعهد اليه إن أنت ظهرت عليهم فاقتل ثلث رجالهم ، وأخرب ثلث بلادهم ، واسب ثلث نسائهم وأبنائهم . فخرج أرياط ومعه جنوده ، وفي جنوده أبرهة الأشرم ، فركب البحر ومعه دوس ذو ثعلبان حتى نزلوا بساحل اليمن . وسمع بهم ذو نواس ، فجمع اليه حير ومن أطاعه من قبائل اليمن ، فاجتمعوا اليه على

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 438.

١
٢ الطبري (١٠٥/٢) ، المحبر (ص ٣٦٨) ، تفسير القرطبي (٢٩٣/١٩) .

اختلاف وتفرق لانقطاع المدة وحلول البلاء والنقمة ، فلم تكن له حرب ، غير أنه ناوش ذا نواس شيئاً من قتال ، ثم انهزموا ودخلها أرباط بمجموعه . فلما رأى ذو نواس ما رأى مما نزل به وبقومه ، وجهه فرسه الى البحر ، ثم ضربه فدخل فيه ، فكان آخر العهد به . ووطيء (أرباط) اليمن بالحبشة ، فقتل ثلث رجالها وأخرب ثلث بلادها وبعث الى النجاشي بثلث سباياها ، ثم أقام بها^١ .

ويظهر من دراسة هذا المروي، أن الرواة كانوا على اختلاف بينهم في حديثهم عن (أصحاب الأخدود) . وقد أشار العلماء الى هذا الاختلاف^٢ . وقد اختلفوا في زمانهم أيضاً ، واكتفى بعضهم بقولهم : « وكانوا بنجران في الفترة بين عيسى ومحمد »^٣ . وقال بعضهم : أنهم كانوا باليمن قبل مبعث الرسول بأربعين سنة ، أخذهم « يوسف بن شراحيل بن تبع الحميري ، وكانوا نيفاً وثمانين رجلاً ، وحفر لهم أخدوداً وأحرقهم فيه^٤ . وجعل بعضهم عدد من قتل من نصارى نجران عشرين ألفاً ، وجعله بعضهم اثني عشر ألفاً ، وذكر بعض آخر ان أصحاب الأخدود سبعون ألفاً . وقد قتلهم (ذو نواس اليهودي) واسمه (زرعة بن تبان أسعد الحميري) ، واسمه أيضاً (يوسف) . وجعله بعضهم (يوسف بن ذي نواس بن تبع الحميري)^٥ . وجعلوا زعيم نصارى نجران ، والذي ثبت النصرانية فيها ونشرها بين النجرانيين رجل من أهل نجران ، اسمه (عبدالله بن ثامر) . وكان قد أخذ النصرانية عن راهب ، رآه فلازمه وتعلق به ، وأثر في قومه ، بشفائه الأمراض بالدعاء لهم الى الله لشفائهم ، فدخل كثير ممن شفوا وبرؤوا بدينه ، وبذلك انتشرت النصرانية في نجران^٦ .

ولم يبين رواية الخبر المتقدم الأسباب التي دعت نجاشي الحبشة الى الطلب من قائده (أرباط) بأن يقتل ثلث رجال اليمن ، ويخرب ثلث البلاد ، ويسبي

-
- ١ الطبري (١٠٥/٢ وما بعدها) ، ابن قتيبة (ص ٣١١) ، الكشاف للزمخشري (١٥٩٤/٢) . تفسير البيضاوي (٣٩٥/٢) .
 - ٢ تفسير القرطبي (٢٨٧/١٩) .
 - ٣ تفسير القرطبي (٢٨٧/١٩) .
 - ٤ تفسير القرطبي (٢٨٩/١٩) .
 - ٥ تفسير القرطبي (٢٩٠/١٩) .
 - ٦ تفسير القرطبي (٢٨٩/١٩ وما بعدها) .

ثلث النساء وأبناءهم وأن يتبع هذا النظام الثلاثي في العقوبة . ولم يذكروا الموارد التي أخذوا منها خبرهم على طريقتهم في أخذ الأخبار من غير تمحيص .

وزعم (ابن الكلبي) أن السفن لما قدمت على النجاشي من عند قيصر ، حمل جيشه فيها ، فخرجوا في ساحل المنذب . فلما سمع بهم ذو نواس ، كتب إلى المقاول يدعوهم إلى مظهرته ، وأن يكون أمرهم في محاربة الحبشة ودفعهم عن بلادهم واحداً . فأبوا ، وقالوا : يقاتل كل رجل عن مقولته وناحيته . فلما رأى ذلك ، صنع مفاتيح كثيرة ، ثم حملها على عدة من الأبل ، وخرج حتى لقي جمعهم فقال : هذه مفاتيح خزائن اليمن قد جئتم بها . فلما وجه الحبشة ثقات أصحابهم في قبض الخزائن ، كتب (ذو نواس) إلى كل ناحية أن اذبحوا كل من يريد اليكم منهم . ففعلوا . فلما بلغ النجاشي ما كان من ذي نواس : جهز سبعين ألفاً ، عليهم قائدان : أحدهما أبرهة . فلما صار الحبشة إلى صنعاء ورأى ذو نواس أن لا طاقة له بهم ، ركب فرسه واعترض البحر فاقتمسه ، فكان آخر العهد به^١ .

هذا مجمل ما ورد في كتب المؤرخين الإسلاميين والأخباريين عن ذي نواس . وقد أخذ بعضه مما علق في أذهان أهل اليمن عن ذلك الحادث ، وأخذ بعض آخر مما علق بأذهان أهل الكتاب عنه ، ويعود الفضل في تدوينه وجمعه إلى القرآن الكريم ، إذ أشار بإيجاز إليه : « قتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود . إذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود »^٢ . فكانت إشارته هذه إلى أصحاب الأخدود حافزاً دفع بالمفسرين وأصحاب التاريخ والأخبار على جمع ما علق بالأذهان من هذا الحادث ، فجاء على الصورة المذكورة^٣ .

ولم يرد إلينا شيء من هذا القصص السني رواه الأخباريون عن ذي نواس مكتوباً في المسند . وكل ما ورد مما له علاقة بحادث دخول الحبشة اليمن ، هو ما جاء في النص المهم المعروف بنص حصن غراب والموسوم بـ REP. EPIGR. 2633 من أن الأحباش فتحوا أرض حير وقتلوا ملكها وأقياله الحميريين والأرحبيين .

١ الطبري (١٢٧/٢) (دار المعارف بمصر) ، المعبر (ص ٣٦٨)

٢ سورة البروج : رقم ٨٥ ، الآية ٤ وما بعدها .

٣ Loth, Tabari's Korancommentar, Die « Leute der Grube » ،

in ZDMG., 1881, S. 610.

ولم يذكر في النص اسم هذا الملك . ويعود تأريخه الى سنة (٦٤٠) من التقويم الحميري الموافقة لسنة (٥٢٥) للميلاد^١ .

ويرى ونكلر مستنداً الى نص (حصن غراب) أن (ذا نواس) كان هو البادئ بالحرب ، وأن السميعع أشوع وأولاده أصحاب النص كانوا في معية الملك ذي نواس في حملته على الحبشة ، غير انه لم يكتب له التوفيق ، وأصيب بهزيمة اذ سقط فهزم جمعه . وعندئذ غزا الحبش أرض اليمن واستولوا عليها . فأسرع السميعع أشوع وأولاده في الذهاب الى حصن (ماوية) للتحصن فيه ولتقوية وسائل دفاعه ، ولم تكن قلوب هؤلاء مع ذي نواس ، وانما أكرهوا على الذهاب معه . وبقوا في حصنهم هذا الى أن دخل الحبش أرض اليمن ، فتفاهم معهم^٢ .

وقد أشرت الى ملخص ما جاء في التواريخ الاسلامية عن ذي نواس وعن حادث تعذيب نصارى نجران ، وهو حادث لم يكن بعيد العهد عن الاسلام . فقد أشير اليه بايجاز في القرآن الكريم : « قتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود . اذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود »^٣ . فجمع المفسرون والأخباريون ما علق بالأذهان من هذا الحادث ورووا أخباراً متناقضة متباينة في أصحاب الأخدود .

أما رأي اليهود - وهم طرف من أطراف هذا النزاع - عن حادث نجران فلا علم لنا برأي رجاله المعاصرين في الحادث . إذ لم يصل الينا شيء مدون بقلم مؤلف يهودي معاصر له . وقد أخذ الأخباريون - كما قلت - ما كان علق عن ذلك الحادث بأذهان يهود اليمن ويثرب ، على لسان وهب بن منبه ، وأضرابه ، أخذوه عن طريق الرواية والحفظ ، فهذا المدون في كتب أهل الأخبار والمنصوص على سنده هو كل ما نعرفه من رأي اليهود المتأخرين في حادث نجران .

وأما ما رواه النصارى عنه ، وهم الطرف الثاني في النزاع ، فإنه أطيب جداً وأوضح مما ورد في الموارد الاسلامية وفي الرواية اليهودية الشفوية اذ اعتمدت

REP. EPIGR., V, I, P. 5, Glaser, Die Abessinier, S. 131-132, ١

Mordtmann, in ZDMG., XLIV, 1890, S. 176.

Winckler, AOF., IV, 1896, ٢

« Zur Alten Geschichte Yemens und Abessinliens », S. 327.

٣ سورة البروج : رقم ٨٥ ، الآية ٤ وما بعدها .

المواد الاسلامية واليهودية على منابع شفوية ، هي السماع والرواية ، فجاء وصفها للحادث مزوقاً . أما الموارد النصرانية فقد اعتمدت على السماع والمشافهة أيضاً ، ولكنها أخذت من موارد ووثائق مسجلة دون بعضها بعد وقوع الحادث بقيل ، وكان لتدوينها الحادث أهمية كبيرة بالنسبة لمن يريد تأريخه والوقوف على كيفية حدوثه ، وإن كانت لا تخلو أيضاً من المبالغات والتهويل ، والعواطف ، لأنها كتبت في ظروف عاطفية حماسية . ونقلت من محيط للمبالغة فيه مكانة كبيرة ومن أفواه أناس ليس لهم علم بمنطق المحافظة على صدق الواقع . وقد دوت لبث حمية النصرارى على انقاذ أبناء دينهم المضطهدين في اليمن .

وقد أدرك بعضها زمن الحادث وأخذ سماعاً من رجال شهوده ، أو من رجال نقلوا رواياتهم من شهود العيان . فلهذه الوثائق إذن شأن عظيم في نظر المؤرخ . ومن هؤلاء الرحالة : (قزما) ، والمؤرخ (بروكوبيوس) المتوفي في حوالي السنة (٥٦٠) للميلاد^١ . ومن المتأخرين: المؤرخ (ملالا) Johannes Malala^٢ . وقد نقل من كتابه بعض المؤرخين المتأخرين عنه، مثل (ثيوفانس) Theophanes (٧٥٨ - ٨١٨)^٣ و (سدرينس) Georg Cedrenus ، و (نيقيفورس كالستي) Nicephorus Callisti^٤ .

وكان (قزما) المعروف بـ Cosmas Indicopleutes أي (قزما بحار البحر الهندي) ، وصاحب كتاب (الطبوغرافية النصرانية) Christian Cosmography وكتاب (البحار الهندية) (بحار البحر الهندي) Indicopleutes في مدينة (أدولس) Adulis ، الواقعة على ساحل الحبشة على المحيط الهندي ينقل كتابة (بطلميوس) Ptolemaeus اليونانية بأمر النجاشي (Elesboas) (Elesboan) في العهد الذي كان فيه النجاشي يتهيأ لغزو أرض حمير^٥ . فكتب في جملة ما كتبه

1 Procopius, History of the Wars, Musil, Palmyrena, P. 336.

2 Johannes Malala, Chron., ED : Bonn.

3 Theophanes, Chronographia, ZDMG., 1881.

4 Nicephorus Callisti, Hist. Eccl., Lib., XVII, Cap. 32,

5 2, Gibbon, The Decline and fall of the Roman Empire, II, P. 625.

6 ED : Montfaucon, P. 141, ZDMG., 1881, S. 5.

مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق : المجلد الثالث والعشرون : الجزء الاول ، ١٩٤٨ ، (ص ١٨ وما بعدها) .

قصة غزو الحبشة لليمن بعد ٢٥ عاماً من وقوعه^١. فلروايته عن الحملة شأن كبير لأنها غير بعيدة عهد عن الحادث ، ثم ان صاحبها نفسه كان قد أدركها وقد سمع أخبارها من شهود عيان . ولعله كان نفسه من جملة أولئك الشهود ، شاهد السفن وهي تحمل الجنود لنقلهم الى اليمن ، واتصل بالرسميين الحبش واستفسر منهم عن الحملة .

ويفهم من رواية (قزما) ، ان الحملة كانت في أوائل أيام حكم القيصر (يسطينوس) Justinus (٥١٨ - ٥٢٧ م)^٢. أما (ثيوفانس) Theophanes و (سدرينوس) Cedrenus ومن اعتمد عليها ، فقد جعلوا الحملة في السنة الخامسة من حكم هذا القيصر ، وذكروا ان الذي حمل النجاشي على هذا الغزو هو تعذيب ملك حمير لتصارى نجران ، وقد قتل هذا الملك^٣.

ويحدثنا (ثيوفانس) و (سدرينوس) عن غزو^٤ ثان قام به الحبش على حمير لاعتداءاتهم على تجار الروم، وذلك في السنة الخامسة عشرة من حكم (يوسطينيانوس) Justinianus (٥٢٧ - ٥٦٥ م) ، وفي عهد النجاشي (أدد) Adad . أما ملك حمير ، فاسمه (دميانوس) Damianus . وقد ذكر (ملالا) هذا الحديث محرّفاً بعض التحريف ، فجعل اسم النجاشي (أندس) Andas بدلاً من ادد ، وصيّر اسم ملك حمير (دمنوس) Damnus عوضاً عن (دميانوس) Damianus ، وذكر حملة (اندس) هذه قبل جملة Elesbaas . وأشار الى أن النصرانية كانت قد انتشرت في الحبشة قبل أيام (اندس) . وذكر المؤرخان الآخران ان (أدد) تنصر على أثر احرازه النصر على الحميرين^٤.

وتحدثنا رواية سريانية ان النجاشي المسمى (ايدوك) Aidog حارب الملك (اكسينودون) Xenedon ملك الهنود . ثم حارب (دميون) Dimion ملك حمير لاعتدائه على التجار الروم واستيلائه على أموالهم . فانتصر (ايدوك) على ملك حمير ، ثم تنصر ، وعيّن على حمير ملكاً نصرانياً . فلما مات هذا الملك ،

J.B. Bury, History of the Roman Empire, II, P. 323. ١
Cosmas, P. 141, ZDMG., 31, 1877, 68. ٢
ZDMG., 31, 1877, 66, Theophanes, I, 260. ٣
Mordtmann, in ZDMG., 31, 1877, S. 67, Theophanes, ٤
I, 346, Cedrenus, I, 656.

عذب خلفه نصارى نجران ، فغزا (ايدوك) حمير وانتصر عليها . وأقام عليها (ابرهام) (ابراهيم) Abraham^١ . ولا يشك المستشرق (فيل) Fell في أن المراد بـ (Adad) (Andas) (Aidog) رجل واحد هو النجاشي (كالب) ، وهو Elesbaas (كلب الا أصبحه) (كالب الا أصبحه) . وأما Dimion و Dimianus و Xenodon ، فيراد بها (ذو نواس) . وقد تحدث (فل) Fel باطناب عن مختلف الروايات الواردة عن النجاشي (كالب) (كلب الا أصبحه) و (الاعاميدة) (عيلاميده) وعن انتشار النصرانية في الحبشة ، وأمثال ذلك ، فإنه يرجع من يطلب المزيد^٢ .

وفي المرويات اليونانية عن الشهداء أن الذي قام بتعذيب نصارى نجران هو الملك (ذو نواس) Dunaas ملك حمير ، وان ذلك كان في السنة الخامسة من حكم (يوسطينوس) Justinus ، أن الذي غزا اليمن هو النجاشي Ela Atzbeha Elesbas . فلما دخلت جيوشه أرض حمير ، فر Dunaas الى الجبال فتحصن فيها ، حتى إذا سنحت له الفرصة خرج فقتل من بقي من جيش النجاشي في اليمن واحتل مدينة (نجران) فقام عندئذ Elesbas بحملة ثانية فانتصر بها على (Dunaas) وعين Abrames في مكانه^٣ .

وفي جملة ما لحق بقصص الشهداء الحميريين ، المناظرة التي جرت بين أسقف (ظفار) المسمى (كريكتيوس) Gregentius وبين Herban اليهودي ، والظاهر أنها من القصص الذي وضع في السريانية وليست لها قيمة تاريخية بالطبع^٤ . وقد دون (يوحنا الأفسسي) John of Ephesus المتوفي في حوالي سنة (٥٨٥) للميلاد في تاريخه الكنسي وثيقة مهمة جداً عن حادث تعذيب نصارى نجران ، هي رسالة وجهها (مار شمعون) أسقف (بيت أرشام) Simon of Beth Arsham المعاصر لهذا الحادث الى (رئيس دير جبلة) Abt von Gabula يصف فيها ما سمعه وما قصه عليه شهود عيان من أهل اليمن عن تعذيب نصارى نجران

Mordtmann, in ZDMG., 31, 1877, S. 67, Assemani, Bibl. Orient., I, 1
359, Fell, in ZDMG., 35, 1881, S. 19.
Fell, in ZDMG., 35, 1881, S. 19. ٢
Mordtmann, in ZDMG., 31, 1877, S. 67, Anecdota Graecae, ٣
Vol., V, P. I, (Boissonade Ed.).
Mordtmann, in ZDMG., 31, 1877, S. 69, Bury, II, P. 327. ٤

وما لاقوه هناك من أصناف العذاب^١ . ومنه أخذها البطريق (ديونيسيوس) Patriarch Dionysius ، فأدخلها في تأريخه المؤلف بالسريانية . وقد نشرها (السمعاني) في مؤلفه (المكتبة الشرقية) . وتجد هذه الرسالة أيضاً في تأريخ (زكريا) Zacharias von Mitylene المتوفي في حوالي سنة (٥٦٨) للميلاد ، وهو بالسريانية أيضاً^٢ . وفي الرسالة اختلافات عن نسخ الرسالة الأخرى ، ولكنها غير مهمة على كل حال ولا تغير من جوهرها شيئاً^٣ .

وقد ذكر (شمعون) في رسالته أنه كان قد رافق (ابراهيم) (ابراهيم) Abraham والد (نونوسوس) Nonnosus الشهير في رسالة خاصة أمر بها القيصر (يوسطينوس) Justinus الأول الى ملك الحيرة (المنذر الثالث) . وكان ذلك في العشرين من كانون الثاني من سنة (٨٣٥) من التأريخ السلوقي، وتقابل هذه السنة سنة (٥٢٤) للميلاد. فلما بلغا قصر الملك ، سمعا بأخبار استشهاد نصارى نجران . وعلم به (شمعون) من كتاب وجهه ملك حير الى ملك الحيرة ، يطلب منه أن يفعل بنصارى مملكته ما فعله هو بنصارى نجران . وقد قرىء الكتاب أمامه ، فوقف على ما جاء فيه ، وعلم به أيضاً من رسول أرسله في الحال الى نجران ليأتيه بالخبر اليقين عن هذه الأعمال المحزنة التي حلت بالمؤمنين^٤ .

وقد وجّه شمعون في نهاية الرسالة نداءً الى الأساقفة خاصة أساقفة الروم ليعلمهم بهذه الفاجعة التي نزلت باخوانهم في الدين ، والى بطريق الاسكندرية ليتوسط لدى

١ مجلة المجمع العلمي العربي ، بدمشق ، المجلد الثالث والعشرون الجزء الاول السنة ١٩٤٨ (كتاب الشهداء الحميريين) ، لمار أغناطيوس أفرام ، النصرانية (٦١/١) ،

Fell, « Die Christenverfolgung, in Südarabien und Himjarish Athiopischen Kriege nach Abessinischer Überlieferung », in ZDMG., 35, 1881, S. 2, Assemani, Bibl. Orient., I, P. 364, Bury, II, P. 323.

٢ النصرانية (٦١/١) ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، الجزء المذكور (ص ١٨) ، اللؤلؤ المنثور في تأريخ الآداب والعلوم السريانية (٢٥٤) ، حمص سنة ١٩٤٣ ،

Assemani, Bibl. Orient., I, 369, ZDMG., 35, 1881, S. 3.

Zacharias, Historia Miscellanea, by J.P.N. Land, Entitled Zachariae Episcopi Mitylenes Allorumquae Scripta Historica Graeca Plerumque Deperdita, Constituting, Land, Anecdota Syriaca, vol., 3, Leiden, 1890.

ZDMG., 35, 1881, S. 3, Bury, II, P. 323, Fragmenta Histori. Graega, ٤ IV, P. 177.

نجاشي الحبشة في مساعدة نصارى اليمن ، كما وجه نداءه الى أحبار (طبرية)
 للتأثير على ملك حمير ، والتوسط لديه بالكف عن الاضطهاد والتعذيب^١ .
 وقد درس عدد من الباحثين هذه الرسالة ، ونقدوها ، وهي في الجملة صحيحة
 ووثيقة مهمة لا شك في ذلك بالنسبة الى من يريد الوقوف على موضوع استشهاد
 نصارى نجران. أما ما جاء فيها على لسان ملك حمير من جمل وعبارات استخلصت
 على حد قول (شمعون) من الرسالة التي وجهها ملك حمير إلى المنذر، فسألة فيها
 نظر ، وقضية لا يمكن التسليم بها ، فلا يعقل أن يكون ما قيل فيها على لسانه
 قد صدر منه . وما دوتن فيها من عبارات بحق الشهيد (حارثة) (الحارث) Arethas
 ونصارى نجران لا يعقل أن يكون قد صدر من ملك يهودي . ولكننا لا نستطيع
 أن ننكر أو نتجاهل أمر الرسالة التي أرسلها الملك إلى المنذر لحثه على اضطهاد
 نصارى مملكته مقابل مبلغ يقدمه ملك حمير اليه . ولا داعي يدعو إلى نكرانها
 والشك فيها . وكل ما نستطيع أن نقوله إن الرسالة صحيحة ، ولكن ما دوتنه
 شمعون من جمل وعبارات على أنها من كلام ملك حمير ، هو من انشائه وكلامه ،
 لا ترجمة حرفية للكتاب . وخلاصة ما يقال في الرسالة أنها وثيقة مهمة ، ولها
 قيمة تاريخية في الجملة بغض النظر عن التفصيلات الواردة فيها وعن عواطف كاتبها
 وعن المبالغات التي وردت فيها . وفي مركز صاحبها والمكانة التي كان فيها ما يسوغ
 صدور مثل هذه الأمور منه ووقفه عليها^٢ .

ومن الوثائق التاريخية التي تتعلق بشهداء نجران كتاب ينسب إلى (يعقوب
 السروجي) في السريانية في نصارى نجران ، وقصيدة في رثاء الشهداء لـ (بولس)
 Paulus Bishop of Eddessa أسقف (الرها) Eddassa = Edessa ومدحه
 اياهم ، ونشيد كنسي سرياني لـ (يوحنا بسالطس) Johannes Psaltes رئيس
 دير قنسرين المتوفى سنة (٦٠٠) للميلاد^٣ ، وميمر ليعقوب الرهاوي^٤ .

ZDMG., 35, 1881, S. 3. ١

ZDMG., 35, 1881, S. 4. ٢

٣ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، الجزء المذكور (١٨) ، اللؤلؤ المنشور في
 تاريخ الآداب والعلوم السريانية (٢٥٤) ، وفي رواية أنه توفي في ٣٠ أكتوبر
 ٥٢٦ للميلاد راجع :

Bury, II, P. 324, ZDMG., XXXI, 324, 363, 400, XXXV,
 1881, S. 4.

٤ النصرانية (٦١/١) ، Bedjan, Acta Martyrum et Sanctorum, I, 372, 397.

ويظهر مما ورد في (كتاب الشهداء الحميريين)^١ وفي رسالة (شمعون الأرشامي) أن (يعقوب السروجي) أسقف (سرجيوبولس) Sergiopolis ، أي (الرصافة) كان من رجال البعثة المذكورة التي أوفدها القيصر (يوسطين الأول) (يسطينوس) Justin I الى الملك (المنذر) . و (الرصافة) Sergiopolis هي (متروبولية منطقة الفرات) Metropolis of Euphratensis بالنسبة الى نصارى العرب . ويذكر مؤلف الكتاب المذكور أنه عمّد وهو في (حيرة النعمان) (حيرتا دي نعمانا) Hirtha Dhe' Na'mana أحد سادات حمير ، واسمه (أفعو) Af'u ، وكان أحد الوثنيين الذين جاؤوا من اليمن الى الحيرة ، وقد شاهد بنفسه تعذيب نصارى (نجران)^٢ . وقد كلفه ملكه ، أي ملك حمير ، السفارة عند ملك الحيرة . ولكنه كان رقيق القلب ، فرق قلبه وهو في الحيرة على النصرانية ، فتنصر على يديه^٣ .

وقد نقل مؤلف كتاب الشهداء الحميريين صورة الكتاب الذي أرسله ملك حمير ، وقد دعاه (مسروقاً) Masruq ، الى (المنذر بن الشقيقة) (منذر بر شقيقة) Mundhar bar Zaqiqa وهو يخرضه فيه على النصارى^٤ . ولا بد من الإشارة الى الأثر المهم المنشور باليونانية ل (يوحنا بولند) Johann Bolland وجماعته في عشرات المجلدات ، والى أثر آخر نشره (بوسونا) Boissona في اليونانية كذلك في خمسة مجلدات^٥ . فقد دوّنت في الكتاب الأول قصة الشهيد القديس (الحارث) Arethas وبقية شهداء نجران ، وقصة الحرب التي وقعت بين النجاشي وذي نواس . ودوّنت في الأثر الثاني مضامين رسالة (مار شمعون) . وقد بين (فينند فل) Winand Fell رأيه فيما جاء في مجموعة (بولند) Bolland^٦ .

١ Axel Moberg, The Book of the Himyarites, Lund, 1924,

Le Muséon, 1963, 3-4, P. 349.

٢ Shshid, The Book of the Himyarites, in, Le Muséon,

1963, 3-4, P. 354.

٣ Le Muséon, 1963, 3-4, P. 352.

٤ The Book of Himyarites, Chapter XXV.

٥ النصرانية (٦١/١) ، وفي مكتبة الآباء اليسوعيين نسخة عربية من هذه الاعمال : (أعمال البولنديين) ،

Acta Sanctorum Oct. Tom. X, 721, Antwerp, 1643.

٦ ZDMG., 35, 1881, S. 5.

وللنصوص الحبشية ولا شك أهمية عظيمة عند من يريد تدوين غزو الأحباش لليمن وتأريخ شهداء نجران إذ كانوا الطرف الرئيسي في هذا الحادث، وهم الذين أغاروا على اليمن فقتلوا ملك حير . لذا وجه الباحثون أنظارهم نحوها وفتشوا عنها ، غير أنهم لم يعثروا على نصوص فيها أمور جديدة عن الحادث تنفرد بها. وما عثر عليه ليس بكثير . ومن ذلك كتابة عثر عليها (يوسف سايتو) J. Sapeto أشير فيها باختصار إلى القديس الحارث (حبروت) Herut وبقية الشهداء ، وجملة مخطوطات حبشية محفوظة في المتحف البريطاني وردت فيها أخبار الشهداء وغزو الحبشة لليمن، وأمر (ذو نواس) المسمى فيها بـ (فنحاس)، وهي لا تختلف في الجملة اختلافاً كبيراً عما جاء في أعمال (البولنديين) وأعمال القديس (أزقير) التي نشرها (روسيني) ، وهو الذي استشهد بأمر ملك حير (شرحيل بن ينكف) مع (٣٨) آخرين^١ .

يتبين من بعض الموارد الإغريقية والحبشية أن الأحباش كانوا قد نزلوا بأرض حير قبل قيام ذي نواس بتعذيب نصارى حير بسنين ، وأنهم انتصروا على ذي نواس ، فاضطر إلى التقهقر إلى الجبال للاختباء بها ، وأنهم تركوا في اليمن جيشاً لحماية النصارى والدفاع عنهم . فلما مات قائد الجيش ونائب الملك ، انتهز ذو نواس هذه الفرصة فأغار على الحبش فتمكن منهم ، وعذب من وجد في بلاده من النصارى واضطهدهم ، وأغار على نجران ، وحاصرها مدة طويلة بلغت سبعة أشهر على زعم الرواية الحبشية . فلما طال الحصار، عمد ذو نواس إلى الخداع والغش ، ففاوض النجرانيين على التسليم له ، وتعهد إن فتحوا له المدينة ، ألا يتعرض لهم بسوء . فلما صدقوه وفتحوا المدينة له ، أعمل فيهم السيف ، فحمل ذلك الحبش على غزو اليمن^٢ .

ورود في كتاب الشهداء الحميريين ، ما يفيد بأن الحبش بعد أن نزلوا أرض حير ، عارضهم رجل اسمه (مسروق) وحاربهم وقامهم ، وهاجم مدينة

١ النصرانية (٦١/١ وما بعدها) ، Sapeto, Viaggio e Missione e Cattolica fra i Mensa i Bogos etc., Roma, 1857, P. 412, ZDMG., 35, 1881, S. 9, Conti Rossini, Rendic. d. Reale Accad. d. Lencel, 1910, Ser., V, Vol., XIX, P. 705.
٢ ZDMG., 35, 1881, s. 13, Bury, II, P. 323.

(ظفار) عاصمة حير ، وكان الحبش قد استولوا عليها وتحصنوا بها ، ولما رأى (مسروق) أنه لا يتمكن من التغلب على الحبش الذين كانوا يحاربونه في مدينة (ظفار) ، أوفد اليهم كهاناً ويهوداً من طبرية ورجلين من الحيرة كانا نصرانيين في الاسم ، يحملون معهم كتاباً يعدهم فيه أنهم إن سلموا له (ظفار) فلن يؤذيهم ، بل يعيدهم الى الحبشة سالمين . فوثقوا بكلامه وصدقوه ، وخرجوا اليه وكانوا ثلاث مئة محارب على رأسهم القائد (أبابوت) ، فقبض عليهم وغدر بهم ، إذ سلمهم إلى اليهود فقتلوه . ثم أرسل من حرق بيعة ظفار بمن كان فيها من الحبش ، عددهم مئتان وثمانون رجلاً ، وكتب إلى الحميريين أمراً بقتل النصراني قاطبة إن لم يكفروا بالمسيح ويتهودوا . وكتب الى الحارث من أشرف مدينة نجران أن يأتيه مع من عنده من حملة السلاح لحاجته الشديدة اليهم . فلما بلغ الحارث مدينة ظفار ، وسمع بما حدث ، رجع الى نجران . فحاصر مسروق المدينة ، وطال الحصار ، فراسل أهلها على الأمان . فلما فتحوا له مدينتهم ، غدر بهم ، وأحرق بيعتهم وأحرق خلقاً منهم بالنار رجلاً ونساءً وأطفالاً . وكان بعض قسيسيه من حيرة النعمان ومن الروم والفرس والحبشة^١ .

فلما تهادى مسروق في غيه وفي قتل النصراني في نجران وغير نجران من مدن اليمن وقراها، سار سيد من سادات القوم اسمه (أمية) الى الحبشة فأخبر مطرانها (أوبرويوس) و (كالب) النجاشي بما حل بنصراني اليمن ، فأمر (كالب) جيوشه بغزو حير ، فغزتها وقضى على (مسروق) اليهودي ، وهو (ذو نواس) في كتب الإسلاميين^٢ .

هذه رواية في السبب المباشر لغزو اليمن . وفي رواية أخرى أن الملك (دميون) Dimion (دميانوس) Dimianos ، ملك حير Homeritae ، كان قد أمر بقتل التجار الروم الذين كانوا في بلاده وبنهب أموالهم انتقاماً من الروم الذين أسأوا في بلادهم معاملة اليهود واضطهدوهم ، فتجنب التجار الروم الذهاب إلى اليمن أو إلى الحبشة والى المناطق القريبة من حير ، فتأثرت التجارة مع الحبشة ، وتضرر الأحباش . فعرض النجاشي على ملك حير عروضاً لم يوافق عليها، ف وقعت

١ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، الجزء المذكور (١١ وما بعدها) ،
Fell, in ZDMG., 35, 1881, S. 48.

٢ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، الجزء المذكور (١٥) .

الحرب . وترجم الرواية أن النجاشي لم يكن نصرانياً ، فقبل له : إن كتب لك النصر فادخل في دين المسيح . فوافق على ذلك . فلما انتصر ، تنصّر ، وانتقم من حمير . ثم أرسل رجلين من ذوي قرابته الى القيصر يلتمس منه إرسال أسقف وعدد من رجال الدين . وبعد بحث واستقصاء وقع الاختيار على *Johannes Paramonaris* من كنيسة القديس يوحنا ، فذهب مع عدد من الكهان ، فعمد النجاشي وأتباعه ، وأقام الكنائس ، وأرشد الناس الى الدين الصحيح^١ .

وقد عرف ذو نواس في النصوص النصرانية باسم *Dimnus = Damian* و *Dimnus = Dimianos* (مسروق)^٢ . ونرى تشابهاً كبيراً بين *Dimnus* و *Damian* و *Damnus* وكلمة (ذو نواس) العربية . فالظاهر أنها تحريف نشأ عن هذا الأصل . وأما النصوص الحبشية فقد دعت (فنحاس) *Phin'has* ، وهو اسم من أسماء يهود^٣ .

أما النجاشي الذي حارب حمير وغزا أرضها ، فقد دعاه (بروكوبيوس) باسم *Hellestheaeus*^٤ . ودعاه غيره بأسماء قريبة منه مثل *Elesbowan = Elisbahaz* و *Ela-Atzbeha = Elesbaas = Elesboas* (ايلاصباح) أو *Ela-Asbah* (ايلاصباح) في الحبشية^٥ . ودعي أيضاً باسم آخر ، هو *Aidug* ، دعاه به (يوحنا الأفيسي) *Johannes von Ephesus*^٦ و (اندس) *Andas* وقد دعاه (ملالا) بذلك^٧ . و *Adad* ودعاه به (ثيوفانس) و (سدرينوس) *Cedrenus*^٨ . أما في الروايات الحبشية ، فقد سمي (كالب)

Glaser, Die Abessinier, S. 175, Bury, II, P. 322. ١

Dillmann, in ZDMG., VII, 357, Noldeke, Tabari, S. 188.

Glaser, Die Abessinier, S. 177, Fell, in ZDMG., 35, S. 17, ٢

1881, Ludolf, Comm. Ad. Hist. Aeth., P. 233.

مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، الجزء المذكور (١٥) .

Fell, in ZDMG., 35, 1881, S. 17, Ludolf, Comm., P. 233. ٣

Procopius, History of the Wars, P. 189 ٤

ZDMG., 35, 1881, S. 18. ٥

Galser, Die Abessinier, S. 176, ZDMG., 35, 1881, S. 19, ٦

Assemani, Bibl. Orient. I, 359.

ZDMG., 35, 1881, S. 19, Malala, P. 434, Glaser, ٧

Die Abessinier, S. 176.

Theophanes, I, P. 346, Cedrenus, I, P. 656. ٨

Kaleb^١ . فهو إذن (الا أصبحتة كالب) Elle 'Asbeha Kaleb وتعني (الا) Elle = Ella (ذو) أو من (آل) . وأما (أصبحتة) ، فاسم أجداده وعشيرته التي انحدر منها . كما أن (ذا نواس) ، لا يعني اسم الملك ، بل لقب أسرته . فاسمه هو (يوسف) . ويكون النجاشي ، أي ملك الحبشة الذي جهز الجيش وفتح اليمن هو (كالب) من (آل أصبحتة) أو (الا أصبحتة كالب) كما عرف بذلك^٢ .

وقد تحول اسم النجاشي Ela Sebah = Elesbass إلى (أصبحتة) في العربية . فقد ذكر بعض العلماء أن (أبرهة ملك اليمن من قبل أصبحتة النجاشي)^٣ ، ف (أصبحتة) إذن هو النجاشي المذكور .

والنجاشي Ela Atybeba = Elesboas ، وهو ابن النجاشي Tayena الذي كان على النصرانية . وقد خلف هذا النجاشي ، النجاشي Andas الذي كان قد أقسم أنه إذا انتصر في الحرب ينتصر . فانتصر، فدخل في النصرانية . وصارت النصرانية ديانة رسمية للحبشة . وقد لقب Tayena بـ (ملك اكسوم وحير Homer ويريدان وسبأ وسلحين) في كتابة من كتاباته ، مما يدل على أنه كان قد حكم اليمن^٤ .

وقد عثر في خرائب مدينة (مأرب) القديمة ، على نص مصاب بتلف في مواضع عديدة منه ، تبين من دراسة ما بقي منه أنه مدون بلغة أهل الحبشة ، وأنه يتحدث عن غزو بحري لمنساء لم يذكر اسمه في النص ، وقد يكون ذلك بسبب التلف الذي أصاب النص ، قام بذلك الغزو مدون النص ، وقد كان في سفينة تبعها إحدى عشرة سفينة أخرى ، فنزل بذلك الميناء وتغلب عليه ونزل المحاربون من سفنهم ودخلوا الميناء ، فأخذوا غنائم وأسرى . ثم تلت هذه السفن دفعة ثانية من سفن جاءت محملة بالمحاربين ، نزلوا في موضع يقع جنوب الموضع الذي نزل هو فيه . لم يذكر اسمه في النص كذلك . وقد انتصر الغزاة على الأماكن

ZDMG., 35, 1881, S. 20. ١

Die Araber, III, S. 28. ٢

تفسير النيسابوري (١٦٣/٣٠) ، (حاشية على تفسير الطبري) . ٣

Dillmann, in ZDMG., VII, 357, Nöldeke, Tabari, S. 188, ٤

Bury, II, P. 223.

التي هاجموا ، لأنهم كانوا مع الحق والشرع ، فكان الله معهم ، وكان أهل الميناء على الباطل وضد الشريعة الحقة فعوقبوا بالهزيمة^١ .

والنص المذكور - وإن كان خلواً من كل إشارة الى (ذي نواس) ، أو الى اسم (نجاشي) الحبشة ، أو الى زمن وقوع الغزو والأماكن التي وقع عليها - يشير الى غزو الحبش لليمن في حكم (ذي نواس) ، والى تغلب الحبش عليه . ويظهر منه أن القافلة الأولى تركت ساحل الحبشة من موضع (ادولس) (عدولس) (عدولي) Adulis على ما يظهر وكانت بإمرة (الا اصبحة) ، فعبرت باب المنذب ، حتى وصلت الى ساحل اليمن . وقد اختارت ميناء (مخا) موضعاً للتزول ، فنزلت به وتغلبت على أصحابه . ثم جاءت قافلة أخرى نزلت في موضع يقع جنوب هذا الميناء ، وتغلبت على أصحابه كذلك . وبذلك تم النصر للحبش . ولم يشر النص الى أسماء الموانئ التي تحرك منها الجيش ، أو الموانئ التي نزل بها في ساحل اليمن .

وقد عالج الباحثون هذه الأسماء ، فرأى قسم منهم أنها تعني شخصاً واحداً هو ملك الحبشة الذي حارب ذا نواس . ورأى آخرون أن المراد بـ Aidug و Adad و Andas شخص واحد هو نجاشي حكم قبل هذا العهد ، أي في القرن الرابع للميلاد ، وهو (الا عاميدة) (علا عاميدة) Ela Amida ، المعاصر للقيصر قسطنطين ، وكان أول من تنصر من ملوك الحبشة على بعض الروايات . وذلك لعدم انسجام هذه الرواية التي تنص على تنصر Aidug بعد انتصاره على حمير ، كما أشرت الى ذلك ، مع روايات أخرى تشير إلى تنصر ملوك الحبشة قبل غزو اليمن هذا بكثير^٢ .

وترى الروايات العربية أن ذا نواس لما غلب على أمره ورأى مصيره السيء ، ركب فرسه وسار إلى البحر فدخله فغرق فيه . أما الروايات الحبشية والإغريقية ، فإنها ترى أنه سقط حياً في أيدي الأبحاش فقتلوه^٣ .

Die Araber, III, S. 24. ff., Journ. af. Semit. Stud., 9, ١
(1964), P. 56.
ZDMG., 35, 1881, S. 20. ٢
ZDMG., 35, 1881, S. 16, Procopius, I, XX, I, Malala ٣
S. 433.

وهناك شعر نسب إلى علقمة ذي جدان زعم انه قائله ، هو :

أو ما سمعت بقتل حمير يوسفأ أكل الثعالب لحمه لم يقتبر ؟

وقد استدل منه (فون كريمير) على أن ذا نواس لم يغرق في البحر كما في الروايات العربية الأخرى ، بل قتل قتلاً كما ورد في روايات الروم^١ .

حكم السميفع أشوع :

وذكر (بروكوبيوس) ان الذي حكم حمير بعد مقتل ملكهم هو رجل اسمه *Esimiphalos = Esimiphaeus* اختاره النجاشي من نصارى حمير ليكون ملكاً على أن يدفع إلى الأحباش جزية سنوية فرضي بذلك وحكم . غير أن من تبقى من جنود الحبشة في أرض حمير ثاروا عليه وحصروه في قلعة ، وعينوا مكانه عبداً نصرانياً اسمه (ابراهام) *Abraham* كان مملوكاً في مدينة (أدولس) (عدول) *Adulis* لتاجر يوناني . فغضب النجاشي وأرسل قوة قوامها ثلاثة آلاف رجل لتأديبه وتأديب من انضم اليه . فلما وصلت إلى اليمن ، التحقت بالثوار ، وقتلت ائدها وهو من ذوي قرابة النجاشي . فغضب *Hellesthaeus* عندئذ غضباً نديداً، وسيّر اليه قوة جديدة لم تتمكن من الوقوف أمام أتباع *Abram* فانهزمت ولم يفكر النجاشي بعد هذه الهزيمة في إرسال قوة أخرى . فلما مات ، صالح *Abraham* خليفته على دفع جزية سنوية ، على أن يعترف به نائباً عن الملك على اليمن ، فعين نائباً عنه^٢ .

وذكر (بروكوبيوس) أيضاً أن القيصر (يوسطيانوس) أرسل رسولاً عنه إلى النجاشي *Hellesthaeus Ela Atzbeha* وإلى *Esimiphaeus* اسمه (جوليانوس) *Julianus* ليرجو منها اعلان الحرب على الفرس وقطع العلاقات التجارية معهم ، لأنهام والقيصر على دين واحد ، فعليها مساعدة أبناء دينهم الروم والاشترك معهم في قضيتهم ، وهي قضية عامة مشتركة ، على النصارى جميعاً الدفاع عنها .

ZDMG., 35, 1881, S. 16, Von Kremer, Südarabische Sage, 92, 127. ١

Procopius, I, XX. 1-2, Bury, II, P. 324, John Malalas, XVIII, 457. ٢

وطلب من ملك حمير **Homeritae** خاصة أن يوافق على تعيين (قيس) **Kaisos** = **Caisus** (**Phylarch**) سيداً على قبيلة معد **Maddeni**، وأن يجهز جيشاً كبيراً يشترك مع قبيلة معد في غزو أرض الفرس. وكان قيس كما يقول (بروكوبيوس) من أبناء سادات القبائل، وكان شجاعاً قديراً وكفوفاً جداً وحازماً، قتل بعض ذوي قرابة **Esimiphaeus** فانهزم إلى البادية هائماً. وقد وعد الملك خيراً، غير أنه لم ينجز وعده، إذ كان من الصعب عليه اجتياز أرض واسعة بعيدة وطرق طويلة تمر بصحارى وقفار لمحاربة أناس أقدر من قومه في الحرب^١.

وقد وصل رسول (جستينيان) (يوسطينيان) **Justinian** سنة (٥٣١ م) إلى ميناء (ادولس) من البحر، ثم ذهب منه إلى (اكسوم) حيث وجد النجاشي **Ela Atybeba** واقفاً على عربة ذات أربع عجلات، وقد ربطت بها أربعة فيلة، وكان عارياً إلا من مئزر كتان مربوط بذهب، وقد ربط على بطنه وذراعيه حلياً من ذهب. وبعد أداء هذا الرسول رسالته، ثار (ابرام) **Abram** على **Esimiphios**، وقضى على حكمه^٢.

وقد رجع السفير فرحاً مستبشراً بنجاح مهمته، معتمداً على الوعود التي أخذها من الملكين. غير أنهما لم يفعلوا شيئاً، ولم ينفذا شيئاً مما تعهدا به للسفير. فلم يغزوا الفرس، ولم يعين (السميفع أشوع) (قيساً) (فيلارخاً) على قبيلة معد. وقد تحرش **Abramos = Abram** بالفرس، غير أنه لم يستمر في تحرشه^٣. فما لبث أن كفت قواته عنهم^٣.

ولا يعقل بالطبع توسط القيصر في هذا الموضوع لو لم يكن الرجل من أسرة مهمة عريقة، له عند قومه مكانة ومنزلة، وعند القيصر أهمية وحظوة. ولشخصيته ولمكانة أسرته، أرسل رسوله إلى (السميفع) لاقتناعه بالموافقة على إقامته رئيساً على قومه. وبهذا اكتسب القيصر رئيساً قوياً وحليفاً شجاعاً يفيد في خططه السياسية الرامية إلى بسط سلطان الروم على العرب، ومكافحة الساسانيين. وقد زار (ابرام) **Abram** والد (نونوسوس) **Nonnosus** الذي أرسله

Procopius, I, XX, 9-13. ١

Bury, II, P. 325. f. ٢

Procopius, I, XX, 9-13. ٣

(جستنيان) Justinian إلى النجاشي وإلى اليمن وإلى معد Caisos = Kaisos (قيساً) هذا مرتين ، وذلك قبل سنة (٥٣٠ م) ، وزاره (نونوسوس) نفسه في أثناء حكمه ، فأرسل (قيس) ابنه (معاوية) معه إلى القسطنطينية إلى (يوسطنيان) ، ثم استقال (قيس) ، وصار أخوه رئيساً على معد ، وزار القسطنطينية ، فعيّن (فيلارخاً) على فلسطين^١ .

ويظهر من دراسة خبر المؤرخ (بروكوبيوس) أن قيصر الروم المذكور كان قد أرسل رسولاً عنه إلى (النجاشي) وإلى (السميع) ، إبان حكم السميع لليمن ، أي قبل ثورة (أبرام) (أبرهة) عليه . ولهذا كلمه الرسول في أمر (قيس) ، ولكنه أخفق في اقناعه بالعفو عنه وبالاعتراف به رئيساً على معد ، فلم يعترف به إلى مقتله . فلما توفي ، جاء رسول القيصر ثانية إلى النجاشي وإلى أبرهة وإلى (قيس) بمهمة تحريضهم لمعارضة الفرس ، وتوحيد كلمتهم . وكان (أبرهة) على عكس (السميع) على علاقة طيبة بـ (قيس) ، وقد قرر تنصيبه رئيساً على معد .

وقد أشار المؤرخ (ملالا) إلى خبر الرسول الذي أرسله القيصر إلى النجاشي لاقناعه بالاشتراك مع الروم في محاربة الفرس ، غير أنه لم يذكر اسم الرسول الذي أوفده القيصر إلى بلاط (أكسوم) . وقد ذكر أن النجاشي بعد أن تغلب على ملك حمير عيّن أحد ذوي قرابته ويدعى Anganes = Aggan على الحميريين^٢ . وأما (يوحنا الأفسسي) ، فقد دعاه Abramios ، ودعاه (ثيوفانس) (الحارث) Arethas^٣ .

و Esimiphaeus الذي نصبه النجاشي ملكاً على حمير بعد مقتل ملكهم اليهودي ،

- ١ تاريخ العرب قبل الاسلام ، لجواد علي (٣٩٤/٤) ، Bury, II, P. 326, Fragmenta Historicorum Graecorum, IV, P. 179, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol., XVI, Part : 3, P. 435.
- ٢ Malala, P. 456, Fell in ZDMG., 35, 1881, S. 34, ZDMG., 7, 473, Bury, II, 324, Malala, XVIII, 457.
- ٣ Theophanes, I, P. 377, Fell, in ZDMG., 35, 1881, S. 35, Glaser, Mitt., S. 428, S. 69, Seper.

هو (السميع أشوع) ، صاحب النص الموسوم بـ CIH 621 بين العلماء . وقد دونه مع أولاده : (شرحيل) يكمل) و (معديكرب يعفر) ، وجماعة من سادات القبائل منهم : أبناء ملحم (ملحمهم) ، وكبراء (كيبور) قبائل محرج سيبان ذونف . وقد كان السميع أشوع من (بني لحيت يرخم) ، وكان هو وأولاده سادة (الهت) على : (كلعن) (كلعان) أي الكلاع و(ذيزن) (ذى يزان) (ذى يزأن) و (ذى جدن) و (مثلن) (مثلان) (مطلقن) (مطلقان) و (شرفن) (شرفان) (شرقان) و (حب) (حيم) ويشعن (يشعان) و (يشر) يشرم ويزر ومكرب (مكربم) و (عقهت) (عقهة) و (بزاي) (بزايان) ويلجب (يلجم) وغيمن (غيمان) (جيان) ويسب وجيج وجدوى (جدويان) و (كزر) (كزران) و (رخيت) وجردان (الجرد) وقيل (قبلان) و شرحى (شرحا)^١ .

أما أبناء ملحم ، فقد كانوا على وحظت (وحظة) و (الهان) (الهن) و (سلقن) (سلفان) (السلف) ، و (ضيفتن) (ضيفت) (الضيفة) و (ريان) (رثاج) و (رياح) و (ريحن) و (ركب) (ركبن) و (مطلقن) (مطلقان) و (مطلقن) (مطلقان) و (ساكلن) (ساكلان) ، و (زکرد)^٢ .

وقد دوتوا النص المذكور ، لمناسبة ترميمهم واصلاحهم أسوار ودروب ومنافذ وصهاريج حصن (مويت) (عرمويت) ، (ماويت) (ماوية) ، وتحصنهم فيه بعد أن جاء الحبش إلى أرض حير ففتحوها ، وقتلوا ملكها وأقباله الحميريين والأرجبيين ، وذلك في شهر (ذو حجت) (ذي الحجة) من سنة (٦٤٠) من

CIH 621, CIH, IV, III, I, P. 54, REP. EPIG. 2633, ١

REP. EPIG., V, I, P. 5, Mlaker, in Zeitschrift für Semitistik, VII,

I, 1929, S. 63, Le Muséon, LXIII, 3-4, 1950, P. 271.

Glaser, Die Abessinier, 132. ٢

التاريخ الحميري الموافق لسنة (٥٢٥) للميلاد^١ .

ويظهر أن (السميعع أشوع) ، كان من أهل (نصاب) ، وكان قد هاجر لسبب لا نعرفه هو وأولاده إلى الحبشة فأقام بها ، ثم عاد فاستقر في (عرمويت) أي في (حصن ماوية) ، وأخذ يوسع من هذا الحصن أرضه ويفتح أراضي جديدة ويتقدم نحو الأراضي التي حكمها (ذو نواس) . فلما جاهر (ذو نواس) بمناصبه النصرانية والحبش والروم العداء ، كلفه الحبش والروم بمهاجمة (ذي نواس) وقدّموا له المساعدات المادية من عون عسكري ومالي ، ليستعين بها في تنفيذ مشروعه هذا . وأخذ يشتري القبائل ويفرض نفوذه عليها بالقوة وبالمال حتى انتهى الأمر بزوال ملك (ذي نواس) ، فعيّن (السميعع) حاكماً على اليمن وناثباً عن ملك الحبشة عليها ، إلا أن ثورة وقعت فيها ، قضت على حكمه ، فولى الأحباش شخصاً آخر في مكانه . وذلك بعد السنة (٥٣١) للميلاد^٢ .

و (شرح ال لحمى عت يرخم) (شرحيل لحيغت يرخم) ، هو والد (السميعع أشوع) ، ولم يكن ملكاً ، غير أنه لم يكن من العامة ، بل كان من (أقول) الأقيال . وذلك لعدم ذكر لقب الملك بعد اسمه ، وعدم نص ابنه (السميعع) على أن والده كان ملكاً . ويجوز أن يكون للسميعع أشوع أبناء آخرون ، غير الولدين : (شرح ال يكمل) (شرحيل يكمل) و (معديكرب يعفر) المذكورين في النص^٣ .

وفي متحف استانبول نص وسم ب Osma. Mus. No: 281 نشره وترجمه العالم

١ (سطر وذن مزندن بعرن مويث) ، السطران السادس والسابع من النص ، (عون) الحصن في الحميرية ، العرب قبل الإسلام لزيدان (١٢٥) ، وقد اختلف الباحثون بعض الاختلاف في قراءة أسماء الاعلام الواردة في هذا النص . السطر الحادي عشر من النص .

G. Hunt, Himyaric Inscriptions of Hisn Ghurab, Translated and Elucidated, 1848, Praetorius, Himjarische Inschriften, in ZDMG., XXVI, 1872, S. 436, J.H. Mordtmann, Neue Himjarische Inschriften, in ZDMG., XXXIX, 1885, S. 230, Von Maltzen, Reise nach Sudarabien, 1873, S. 225, REP. EPIG. 2633, REP. EPIG., V, I, P. 5, Glaser, Zwei Inschriften, S. 86, M. Hartmann, Die Arabische Frage, 1909, S. 367, J. Raymond Wellsted, Travels to the City of the Callphs, P. 21 Rodiger, Versuch, S. 13.

Beiträge, S. 92, 120. ٢

Le Muséon, LXIII, 3-4, 1950, P. 273. ٣

البلجيكي (ريكنس) G. Ryckmans في مجلة Le Muséon ، وردت في مطلعها جملة : « نفس قدس سميفع أشوع ملك سبا » ، وفي آخره عبارة : « بسم رحمن وبنهو كرشش غلبن » ، ومعناها « بسم الرحمن وابنه المسيح الغالب »^١ . وفي هاتين الجملتين دلالة صريحة على أن السميفع أشوع كان ملكاً على سبا وأنه كان على دين النصراني . وقد استعمل النص كلمة (كرشش) بمعنى المسيح ويستعملها أهل الحبشة كذلك . وقد أخذوها ، ولا شك من الروم . ويؤيد كون (السميفع أشوع) نصرانياً ، ما ذكره المؤرخ (بروكوبوس) من أن الحبشة عينت رجلاً نصرانياً من حمير اسمه **Esimiphæus** ملكاً على حمير ، وذلك بعد قتل الملك الحميري الذي عذب النصراني في بلاده ، ويقصد به ذو نواس .

ولم يكن (السميفع أشوع) ملكاً مستقلاً كل الاستقلال يتصرف بملكه كيف يشاء ، بل كان في الواقع تابعاً لحكومة (أكسوم) . يفهم ذلك صراحة من هذا النص الذي أتحدث عنه . جاء في السطر الثالث منه : (امرامو نجشت اكسمن برو وهوترن) ، أي (في أيام أميرهم نجاشي أكسوم بنوا وأسسوا) . وجاء في السطر السادس : (املكن الابحه ملك حبشت) ، أي (الملك الابحه ملك الحبشة) ، ويقصد بـ (الابحه) نجاشي الحبشة (الا أصبحت) **Elle 'Asbeha** الذي كان ملك الحبشة في ذلك العهد ، وعاصمته مدينة (أكسوم)^٢ .

وتعني كلمة (نجشت) الواردة في النص ملكاً أو أميراً في العربية ، وقد أخذها العرب من الحبش ، وأطلقوها على ملوك الحبشة ، وهي (نجاشي) و (النجاشي) في عربيتنا ، كما أطلقوا كلمة (قيصر) على أباطرة الروم^٣ .

وقد ذكرت في النص أسماء (ذوزان) (ذو يزن) و (حسن) (حسان) و (شرحبال) (شرحيل) قيل (ذو معفرن) ، أي قيل المعافر . و (اسودن) أي الأسود (وسميفع) قيل (ذو بعدان) (ذ بعدن) ، وزرعة قيل مرجم ، أي مرجب (المراحب) و (حارث) و (مرثد) أمراء (ثعبان) و (شرحيل)

Handbuch, S. 105, Note : 4, Le Muséon, LIX, 1-4, 1964, P. 165, REP. EPIG.

3904, REP. EPIG., VI, II, P. 376, Le Muséon, LXIII, 3-4, 1950, P. 272, Istanbul,

7600, Bis, Conti Rossini, Storia D'Etiofia, Milano, 1925, Vol., I, P. 180.

Le Muséon, LIX, 1-4, 1946, P. 167.

Ency., III, P. 817.

يكمل) ^١ . وجاء بعض هذه الأسماء في نصوص أخرى ، ومنها نص (حصن غراب) المتقدم وقد اشتهر بعض هذه القبائل في الإسلام .

ولدينا نص غفل من التأريخ وسمه العلماء بـ REP. EPIG. 4069 ، وردت فيه جملة أسماء ، هي : (شرحب ال يكمل) (شرحبيل يكمل) و (شرحب ال يقبل) (شرحبيل يقبل) ، و (مرثد علن احسن) (مرثد علن أحسن) (مرثد علان أحسن) ، و (سميفع أشوع) أبناء (شرحب ال لحي عت يرخم) (شرحبيل لحيعت يرخم) أقبال (اقول) (ذو يزان) (ذو يزن) و (جدنم) (ذو جدن) و (يلجب) و (يصبر) ^٢ . ويظن أن (السميفع أشوع) المذكور هنا ، هو الملك الذي نتحدث عنه ^٣ . ولم يلقب في هذا النص بلقب ملك ، كما لم يلقب به والده كذلك . والظاهر أنه كتب قبل عهد توليه الملك . وأنه لم يكن من الأسرة المالكة ، ولكن من أبناء الذوات والأعيان .

ووردت في نهاية النص جملة « الرحمن ربّ السماء والأرض » ، وهي عبارة تختلف عن العبارات المألوفة التي نعهدها في النصوص الوثنية القديمة ، تظهر منها عقيدة التوحيد والابتعاد عن الآلهة القديمة بكل جلاء ^٤ . غير أننا لا نستطيع أن نستخرج منها أن صاحبها كان يهودياً كما ذهب الى ذلك بعض الباحثين ، أو أنه كان نصرانياً ^٥ . انما نستطيع أن نقول ان أصحاب هذا النص كانوا على دين التوحيد وكفى .

ومن الأسماء الواردة في هذا النص : (ضيفتن) (ضيفت) (ضيفة) و (ريجم) (ريج) (رياح) و (مهرت) (مهرة) وقبيلة (سبين) (سبيان) ^٦ . وقد تكون مهرت (مهرة) ، هي مهرة التي تنسب الى (مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاة) في اصطلاح النسابين ^٧ .

ويقع (عرمويت) ، أي حصن (مويت) (ماوية) في جزيرة بركانية

١ Le Muséon, LIX, 1-4, 1946, PP. 167, 171.

٢ REP. EPIG., VII, I, P. 66, Boscawen, 13.

٣ Ryckmans 63, Le Muséon, LXIII, 3-4, 1950, P. 272, Beiträge, S. 92.

٤ السطر الحادي عشر من النص .

٥ Le Muséon, LXIII, 1950, PP. 273, 274.

٦ السطران الرابع والخامس من النص .

٧ منتخبات (١٠٠) .

تسمى (حصن الغراب) وهو الآن خراب . وقد عثر الباحثون في أنقاضه على كتابة وسمت بـ CIH 728 دوتها (صيد ابرد بن مشن) (صيد ابرد بن مشان) ، أحد أقبال (بدش) (باداش) . وورد فيها اسم (قنا) . وقد كان لهذا الحصن شأن كبير في تلك الأيام لحماية الجزيرة والميناء من الأعداء المهاجمين ومن لصوص البحر . وللدفاع عن التجار الذين كانوا يتاجرون مع افريقية والهند . ولهذا اهتم (السميعع أشوع) وأولاده بترميمه وبإصلاحه وتقويته^١ .

وأما ميناء (قنا) الذي ذكرته في مواضع من هذا الكتاب ، وهو في الموضع المسمى بـ (بير علي) في الوقت الحاضر على رأي بعض الباحثين ، فقد كان من الموانئ المهمة على البحر العربي . وقد كان مرفأً للتجارة الآتية من الشمال ، أو من البحر لارسالها الى (شبوة) ومواضع أخرى في شمال هذا الميناء^٢ .

ومما يلاحظ أن المواضع الأثرية التي على الساحل الجنوبي لجزيرة العرب قليلة معدودة . وتكاد تنحصر في أرض عدن وأبين^٣ وحصن الغراب وفي مواضع من أطراف (ظفار) وحول (المكلا) و (الشحر) وساحل مهرة . مع أن السواحل هي من المواضع التي يجب أن تكون في العادة عامرة بالمدن والمرافئ بسبب سهولة اتصالها بالعالم الخارجي ، ووقوعها على طرق مائية تجلب اليهن السفن والناس . والظاهر أن وخامة الجو في هذه السواحل وصعوبة حماية الساحل من لصوص البحر ، وتفشي الأمراض ، وملوحة المياه الجوفية ، وأسباباً أخرى ، كانت في جملة ما حال بين الناس وبين بناء المدن على هذه السواحل^٣ .

وقد اشتهرت (ظفار) بأنها المرفأً المعد لتصدير اللبان والمر^٤ وحاصلات البلاد العربية الجنوبية الأخرى . وكان محاطاً بسور . أما المواضع الأخرى ، فلم تكن مسورة في الغالب . وقد أشار (كرب ايل وتر) في أخباره عن حروبه في السواحل الجنوبية أنه خرب مدينة (تفض) في (أبين) ، وأحرق مواضع أخرى على البحر ، يظهر أنها لم تكن مسورة . ويظهر أن هذه السواحل لم تكن مأهولة مثل الأرضين الشمالية العالية ، فلم يعثر الباحثون على كتابات كثيرة فيها

Beiträge, S. 91. ١
Beiträge, S. 93. ٢
Beiträge, S. 87. ٣

حتى الآن . وصارت مدينة (عدن) ومدينة (قنا) من أهم المرافئ على الساحل الجنوبي^١ .

هذا ولا بد لي هنا من الإشارة الى كتابة حبشية ناقصة عشر عليها (أحمد فخري) سنة (١٩٤٧م) بمأرب ، فيها إشارة إلى دخول الحبشة إلى اليمن ، وإن لم ينص على ذلك نصاً . ويظن أنها تشير إلى استيلاء (الا اصبحه) النجاشي على اليمن سنة (٥٢٥) للميلاد . وانتصاره على (ذي نواس)^٢ .

ويظهر من هذه الكتابة أن حملة الحبش على اليمن نقلت في قافلتين من السفن: تحركت القافلة الأولى بقيادة النجاشي السذي كان قد احتجز سفينة خاصة به ، فعبرت به باب المنذب ورسد عند ساحل اليمن . وكانت سفينة النجاشي أول سفينة بلغت ، ثم تلتها بقية السفن . وقد سقط من الكتابة اسم الموضع الذي رست السفن فيه ، ولعلته (سخا) . فوقت معارك بين الحبش وبين الحميريين ، انتصر فيها الأحباش فأخذوا أسرى وغنائم . ولما كان النص ناقصاً وقد طمست من الكتابة الباقية منه كلمات ، فقد صار غامضاً مقتضباً، لا يفهم منه إلا إشارات^٣ .

أبرهة :

و Abraham و Abramios ، هما اسمان لمسمى واحد ، أريد به (أبرهة) المشهور عند أهل الأخبار الذي اغتصب الملك باليمن ، ونصب نفسه حاكماً عليها، ولقب نفسه بألقاب الملوك ، وإن اعترف اسمياً بأنه (عزلى ملكن اجعزين)، أي (نائب ملك الأجاجزة) على اليمن^٤ . وحكم اليمن أمدأ ، وترك في نفوس اليابانيين اثراً قوياً .

ويرى بعض الباحثين أن (كالب ايلا أصبحت) ، كان قد أرسل حملة سنة (٥٢٣) للميلاد على اليمن ، حملتها اليها سفن بيزنطية ، نزلت في البلاد وتغلبت على (ذي نواس) فهرب (ذو نواس) من (ظفار) ، ثم عاد فباغت

Belträge, S. 88. ١

Die Araber, III, S. 24. ٢

Die Araber, III, S. 24. ٣

راجع السطر الخامس من النص ٤

الحبش وأنزل بهم خسائر كبيرة ، واضطهد النصارى وعذبهم . فحمل النجاشي على ارسال حملة جديدة عليه نزلت اليمن سنة (٥٢٥) للميلاد . وصارت في أيدي الحبش حتى سنة (٥٣٠) للميلاد . اذ قامت ثورة على الحبشة ، وانتهز (أبرهة) الفرصة ، فأخذ الأمر بيديه ، وبقي حاكماً على اليمن منذ هذا الوقت تقريباً حتى سنة (٥٧٥) للميلاد . وكان قد انتزع الحكم من (السميع أشوع) ، الذي نصبه الحبش ملكاً على اليمن حين دخولهم اليها وعينوا رجلين من الحبش يحكمان معه ويراقبان أعماله لئلا يقوم بعمل يضر مصالحهم^١ .

ولأهل الأخبار روايات عن كيفية استئثار (أبرهة) بالحكم واغتصابه له . لهم رواية تقول : إنه جاء الى اليمن جندياً من جنود القائد الحبش (أرياط) الذي كلفه نجاشي الحبشة بفتح اليمن ، فلما أقام باليمن سنين ، نازعه في أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشي ، حتى تفرقت الحبشة ، وخرج أبرهة على طاعة قائده ، ثم غدر به وأخذ مكانه^٢ . ورواية أخرى ، تقول إن النجاشي أرسل جيشاً قوامه سبعون ألفاً ، جعل عليه قائدين ، أحدهما : أبرهة الأشرم^٣ . فلما ركب ذونواس فرسه واعترض البحر فاقتحمه وهلك به ، نصب أبرهة نفسه ملكاً على اليمن ، ولم يرسل له شيئاً ، فغضب النجاشي ووجه اليه جيشاً عليه رجل من أصحابه ، يقال له أرياط ، فلما حل بساحته ، بعث اليه أبرهة : « إنه يجمعني واياك البلاد والدين ، والواجب عليّ وعليك أن ننظر لأهل بلادنا وديننا ممن معي ومعك ، فإن شئت فبارزني ، فأنا ظفر بصاحبه كان الملك له ، ولم يقتل الحبشة فيما بيننا» . فرضي بذلك أرياط ، وأجمع أبرهة على المكر به . فاتعدا موضعاً يلتقيان به ، واكمن أبرهة لأرياط عبداً يقال له : « أرنجده » ، في وهدة قريب من الموضع الذي التقيا فيه ، فلما التقيا سبق أرياط فزرق أبرهة بحرته ، فزالت الحربة عن رأسه وشرمت أنفه ، فسمي الأشرم ، ونهض أرنجده من الحفرة ، فزرق أرياط فأنفذه ، فقتله^٤ . وأخذ أبرهة الحكم لنفسه ، واستأثر به .

١ J. Ryckmans, L'Inst., P. 320, Grohmann, S. 31.

٢ الطبري (١٢٥/٢) (دار المعارف) .

٣ الطبري (١٢٧/٢) (دار المعارف) .

٤ وذكر الطبري في خبر آخر أن اسم العبد الذي قتل أرياط (عتودة) الطبري (١٢٨/٢ ، ١٢٩) .

وتذكر رواية أخرى ، أن النجاشي كان قد وجه أرباط أباصحم (ضخم) في أربعة آلاف الى اليمن ، فأدأخها وغلب عليها ، فأعطى الملوك ، واستدل الفقراء ، فقام رجل من الحبشة يقال له أبرهة الأشرم أبويكسوم ، فدعا الى طاعته . فأجابوه ، فقتل أرباط ، وغلب على اليمن^١ .

وتذكر رواية أن (أرباط) أخرب مع ما أخرب من أرض اليمن سلحين وبينون وعمدان ، حصوناً لم يكن في الناس مثلها . ونسبوا في ذلك شعراً إلى (ذي جلدن) ، زعموا أنه قاله في هذه المناسبة^٢ . ويظهر من روايات أخرى أن تلك الحصون بقيت إلى ما بعد أيامه . وذكر أن (أرباط) كان فوق أبرهة ، أقام باليمن سنتين في سلطانه لا ينازعه أحد ، ثم نازعه أبرهة الحبشي الملك^٣ . وتجمع روايات أهل الأخبار على أن النجاشي غضب على أبرهة لما فعله باليمن ولما أقدم عليه من قتل أرباط ، وأنه حلف ألا يدع أبرهة حتى يبطأ ببلاده ، ويمجز ناصيته ، ويهرق دمه . فلما بلغ ذلك أبرهة ، كتب إلى النجاشي كتاباً فيه تودد واعتذار وتوسل واسترضاء ، فرضي النجاشي عنه ، وثبته على عمله بأرض اليمن^٤ .

ولما استقام الأمر لأبرهة باليمن ، بعث إلى (أبي مرة بن ذي يزن) ، فنزع منه امرأته (ریحانة ابنة علقمة بن مالك بن زيد بن كهلان) ، و (علقمة) هو ذو جلدن . وكانت ولدت لأبي مرة معديكرب بن أبي مرة ، وولدت لأبرهة بعد أبي مرة مسروق بن أبرهة ، وبساسة ابنة أبرهة . وهرب منه أبو مرة^٥ .

ولأبرهة ذكر وشهرة في كتب أهل الأخبار والتاريخ . وقد ورد اسمه في الشعر الجاهلي ، وضرب به المثل في القوة والصيت والسلطان ، حتى لنجد أهل الأخبار يذكرون أسماء جملة أشخاص دعوهم (أبرهة) ذكروا أنهم حكموا اليمن .

-
- ١ الطبري (١٣٧/٢) (دار المعارف) ، أخبار مكة ، للزرقني (١/٨١ وما بعدها) ، (٨٨/١) ، (طبعة خياط) .
 - ٢ الطبري (١٢٥/٢) ، (دار المعارف) .
 - ٣ أخبار مكة ، للزرقني (٨٧/١) ، (خياط) ، الطبري (١٢٨/٢) (سنين) ، (دار المعارف) .
 - ٤ الطبري (١٢٨/٢ وما بعدها) (دار المعارف) .
 - ٥ الطبري (١٣٠/٢) (دار المعارف) .

والظاهر أن الشهرة التي بلغها في أيامه وغزوه القبائل العربية واستعماله القسوة معها، أحاطته بهالة في أيامه تضخمت فيما بعد ، فأحيط بتقصص وأساطير وصير من اسمه جملة حكام حكموا باسم (أبرهة) .

فقد ذكروا اسم (أبرهة تبع ذي المنار بن الرائش بن قيس بن صيفي بن سبأ) . وكان يقال له (الرائد)^١ . وجعلوا لأبرهة هذا ولدين ، هما : إفريقس ، والعبد ذو الأذعار . وأولد إفريقس شمر يرعش^٢ . وذكروا (أبرهة) آخر ، قالوا له : (أبرهة بن شرحبيل بن أبرهة) . وسمى (الهمداني) جملة رجال (أبرهة) ، وأدخلهم في (الأصابع)^٣ . ويظهر من دراسة اسم (أبرهة) ونعته في الحبشية أن الأخباريين أخذوها فصيروا منها أسماء عربية ربطوا بينها وبين تأريخ اليمن كما فعلوا مع أشخاص آخرين .

وقد ضرب (لييد بن ربيعة العامري) المثل ب (أبي يكسوم) وهو أبرهة في وجوب الاعتاظ بهذه الدنيا الفانية التي لا تدوم لأحد ، فقال :

لو كان حيّ في الحياة مُخلداً في الدهر ألقاه أبو يكسوم ،
والتبّعان كلاهما ومُحرّق وأبو قبيس فارس اليعحوم^٤

وقد ترك أبرهة وثيقة مهمة على جانب خطير من الأهمية ، وهي النص الذي وسم بـ Glaser 618 وبـ CIH 541 عند الباحثين في العريبات الجنوبية^٥ . وهي ثاني نص طويل يصل إلينا من اليمن ، يتألف من (١٣٦) سطراً ومن حوالي (٤٧٠) كلمة^٦ . وتبحث عن ترميم سدّ مأرب ذي المكانة الخالدة في القصص

١ الطبري (٥٦٦/٢) (دار المعارف) ، (١١١/٢) .

٢ الاكليل (٥٣/٢) .

٣ الاكليل (١٤٣/٢) .

٤ ديوان لييد (ص ١٠٨) ، (الكويت ١٩٦٢ م) .

٥ الاكليل (١٥٩/٢) .

٦ Glaser 618, (+ 553 + 555 + 556), CIH 541, CIH, IV, II, III, P. 278, Glaser, Zwei Inschriften über den Dammbbruch von Mareb, in Mitteilungen der Vorderasiatischen Gesellschaft, , 1897, S. 390, Seper., S. 31-126, Ryckmans, 506, Jamme 546, A. J. Drewes, Inscriptions de L'Ethiople Antique, 1962, 71, 1961, 65.

Handbuch, S. 106, Die Araber, I, S. 587, v

Le Muséon, 66, 1953, P. 340, Beeston, in BSOAS, 16, 1954.

العربي وتجديده مرتين ، وذلك في أيام أبرهة . المرة الأولى في شهر (ذوالمدرح) من سنة (٦٥٧) من التأريخ الحميري المقابلة لسنة (٥٤٢) للميلاد ، والثانية في شهر (ذومعان) (ذمعن) من سنة (٦٥٨) من التأريخ الحميري ، أي في سنة (٥٤٣) من الميلاد^١ .

وقد افتتح النص بالعبارة الآتية : « بنخيل وردا ورحمت رحمن ومسحو ورح قدس سطرو ذن مزندن . ان ابره عزلى ملكن اجعزين ربحز زيمين ملك سبأ وذو ريذن وحضرموت ويمنت واعربهمو طودم وتهمت^٢ أي « بحول وقوة ورحمة الرحمن ومسيحه وروح القدس سطرورا هذه الكتابة . إن أبرهة نائب ملك الجعزين ربحز زيبان ملك سبأ وذو ريذن وحضرموت وأعرابها في النجاد وفي تهامة » . ويلاحظ أن أبرهة قد لقب نفسه في هذا النص باللقب الرسمي الذي كان يتلقب به ملوك حير قبل سقوط دولتهم ، مع أنه كان (عزلى ملكن اجعزين) ، أي نائب ملك الجعزين . والواقع أنه كان قد استأثر بالحكم في اليمن ، وحصر السلطة في يديه ، وصار الحاكم المطلق ، ولم يترك لنجاشي أكسوم غير الاسم ، حتى أنه دعاه في هذا النص بـ (ملك الجعز) حسب^٣ .

وفي النص حديث عن ثورة قام بها (يزد بن كبشت) (يزيد بن كبشة) من السادات البارزين في اليمن . وكان أبرهة قد أنابه عنه ، وجعله خليفته على قبيلتي (كدت) و (دا)^٤ ، غير أنه ثار عليه لسبب لم يذكر في النص ، وأعلن العصيان . وانضم اليه أقبال (اقول) سبأ و (اسحرون) ، وهم : (ذوسحر) و (مرة) و (ثمت) (ثمامسة) و (حنش) (حنشم) و (مرثد) و (حنف) (حنقم) (حنيف) و (ذخلل) (ذو خليل) و (ازانن) (الأزان) والقبيل (معديكرب بن سميع) ، و (هعن) (هعان) واخوته أبناء أسلم . فلما بلغ نبأ هذه الثورة مسامع (أبرهة) ، سير اليه جيشاً بقيادة (جرح ذزبر) (جراح ذو زبنور) ، فلم يتمكن أن يفعل شيئاً ، وهزمه

١ F. Praetorius, 'Bemerkungen zur den beiden grossen Inschriften vom Dammbbruch zu Marib, in ZDMG., 1899, 5, 15.

٢ السطور الاولى من النص : CIH 541, Glaser 818.

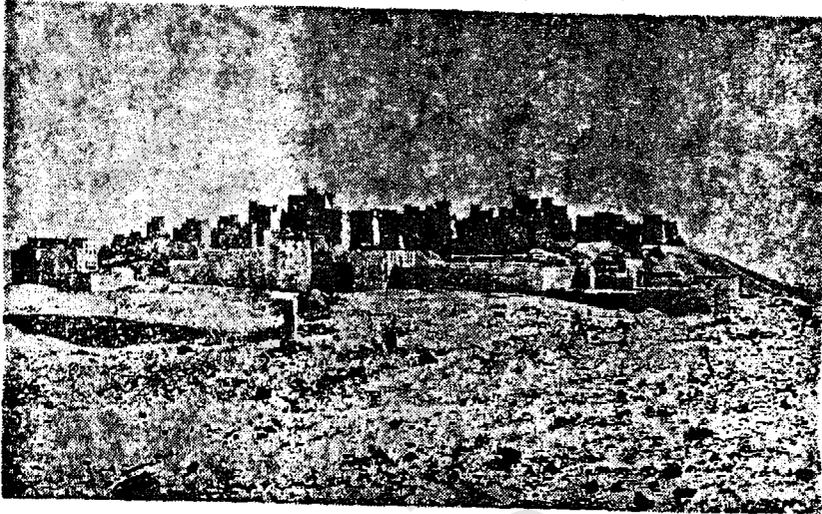
٣ Glaser, Zwei Inschriften uber den Dammbbruch von Marib, II, 1897, S. 421.

٤ (خلفتهوذ ستخلفو على كدت ردا) ، السطر الحادي عشر من النص ، Glaser, Zwei, S. 401, 413, Seper., 42, 54.

(يزيد) ، واستولى على حصن (كدر) (كدار) ، وجميع من أطاعه من (كدت) (كدة) ومن (حريب) حضرموت وهاجم (هجن اذمرين) (هجان الذماري) وهزمه واستولى على أملاكه ، وحاصر موضع (عبرن) (عبران) (العبر) . عندئذ قرر أبرهة معالجة الموقف بإرسال قوات كبيرة لرتق الخرق قبل اتساعه ، فجهز في شهر (ذقيضن) (ذوقيض) (ذوقيضان) من سنة (٦٥٧) من التقويم الحميري أي سنة (٥٤٢) للميلاد جيشاً لجياً من الأحباش والحميريين ، وجهه نحو أودية (سبأ) و (صرواح) ثم (نبط) على مقربة من (الوادي) (عبرن) (عبران) (العبر) . وفي (نبط) جعل أهل (الو) (الوى) و (لبد) والحميريين في المقدمة . أما القيادة ، فكانت بأيدي القائدين: (وطح) (وطاح) و (عوده) (ذو جدن) . وبينما كان الجيش في طريقه لحرب (يزيد بن كبشة) إذا به يظهر مع عدد من أتباعه أمام (أبرهة) يطلب منه العفو والصفح . أما الباقيون، فقد تحصنوا في مواضعهم ، وأبو الخضوع والاستسلام.

وبينما كان أبرهة يفكر في أمر بقية الثائرين إذا به يسمع بخبر سيء جداً ، هو تصدع سد (مأرب) وتهدم بعض توابعه ، وذلك في شهر (ذمذرن) (ذو مذران) (ذو المذرى) من سنة (٦٥٧) من تقويم حمير ، أي سنة (٥٤٢) للميلاد . فأمر مسرعاً بتحضير مواد البناء والحجارة ، وحدد أجل ذلك بشهر (ذصرين) (ذو الصرب) من السنة نفسها . وفي أثناء مدة التحضير هذه ، افتتح أبرهة كنيسة في مدينة مأرب يظهر أنه هو الذي أمر ببنائها، ورتب لخدمتها جماعة من متنصرة سبأ . ولما انتهى من ذلك عاد إلى موضع السد لوضع أسسه وإقامته مستعيناً بحمير وبجنوده الحبش ، ولكنه اضطر بعد مدة إلى السماح لهم بإجازة ، ليهيئوا لأنفسهم الطعام وما يحتاجون إليه ، وليريحهم مدة من هذا العمل المضني الذي تبرموا منه ، وليقضي بذلك على تدمير العشائر التي لم تعود مثل هذه الأعمال الطويلة الشاقة . ورجع أبرهة في أثنائها إلى مأرب ، فعقد معاهدة مع أقيال سبأ وتمسنت الأحوال ، وأرسلت إليه الغلات والمواد اللازمة للبناء ، ووصلت إليه جموع من الفعلة وأبناء العشائر ، فعاد إلى العمل بهمة وجد، فأنجزه على نحو ما أراد ، فبلغ طوله خمسة وأربعين (أمماً) ، أي ذراعاً ، وبلغ ارتفاعه خمسة وثلاثين (أمماً) . أما عرضه ، فكان أربع عشرة ذراعاً ، بني بحجارة حمر من (البلق) . وانجزت أعمال قنواته وأحواضه والمشروعات الفرعية

المتعلقة به في (خبشم) (خبش) وفي (مفلم) (مفلل) (مفلول) .
وقد دون أبرهة في نهاية النص ما أنفقه على بناء هذا السد من أموال، وما قدمه
إلى العمال والجيش الذي اشترك في العمل من طعام واعاشة من اليوم الذي بدىء
فيه بالانشاء حتى يوم الانتهاء منه في شهر (ذو معن) (ذو معان) من سنة
(٦٥٨) الموافقة لسنة (٥٤٣) للميلاد .



مدينة مأرب ، وتقع على أنقاض مأرب القديمة
من كتاب : (Qataban and Sheba)

ويظهر من النص أن ثورة (يزيد بن كبشة) (يزيد بن كبشت) كانت
ثورة عنيفة قوية، وأنها شملت حضرموت و (حريب) و (ذو جدن) و (حباب)
عند (صرواح) . ولكنها فشلت وتغلب أبرهة عليها بمساعدة قبائل يمانية ذكرها
في النص^١ .

أما (يزيد بن كبشة) فلا نعرف من أمره في الزمن الحاضر إلا شيئاً يسيراً،
وهو ما ذكره أبرهة في نصه عنه ، من أنه عينه عاملاً ووكيلاً عنه على قبيلة
(كدت) (كدة) . وهي كندة على رأي أكثر العلماء^٢ .

١ Beiträge, S. 121.
٢ Glaser, Mitt., S. 434.

وأما الأقبال الذين انضموا إليه وساعدوه ، وهم : (ذو سحر) و (مرّة) و (ثمامة) و (حنش) و (مرثد) و (حنيف) وآل ذو خليل وذو يزان (ذو يزن) (ذو يزن) ، و (معديكرب بن سميفع) و (هعن) (هعان) و اخوته أبناء أسلم . فهم يمثلون على الجملة الطبقات الأرستقراطية القديمة في سبأ . فآل ذو خليل وذو سحر ، من الأسر التي ذكرت أسماؤها في النصوص المدونة قبل الميلاد . وقد أرخ بأسرة (ذي خليل) في نصوص المسند ، وذكروا في كتابات السبئيين العتيقة التي تعود إلى أيام المكربين . وكان لهم في أيامهم شأن يذكر في تأريخ سبأ ، إذ كان منهم المكربون^١ . وذكر (الهمداني) اسم جماعة يقال لهم (البحرليون) ، قال : أنهم من ولد ذي خليل من حمير^٢ .

وليس من السهل تشخيص (مرّة) و (ثمامة) ، فهما من الأسماء المتعددة المذكورة في الكتب العربية . وقد أشير إلى (ثمامة بن حجر) ملك (قصر الهدهاد) في (عمران)^٣ . وذكر الهمداني (بني ثمامة) وقال : إن جباً مدينة المعافر ، وهي لآل الكرندي من بني ثمامة آل حمير الأصغر^٤ ، فهل يكون هؤلاء صلة ب (ثمامة) النص ؟

وذكر بعض الأخبساريين اسم ملك من ملوك اليمن سموه (مرثداً) زعموا أنه كان آخر الملوك ، وزعم قسم منهم أنه حكم مدة قصيرة بعد (ذي نواس) ، فهل صاحب هذا الاسم هو (مرثد) المذكور في النص ؟ ولا عبرة بالطبع بما ذكر من أنه كان ملكاً ، فقد كان من عادة الأقبال والأذواء التلقب بلقب ملك^٥ . وورد (ذو مرثد بن ذو سحر) ، في الموارد العربية^٦ ، فجمعت بين (مرثد) و (سحر) ، وورد اسم (سحر) واسم مرثد في النص ، فهل هنالك صلة بين هذه الأسماء ؟

ويرى (كلاسر) أن (ازان) ، هم (يزن) ، ومنهم (سيف بن

Glaser, Mitt., S. 456.	١
الصفة (١١٢) .	٢
Glaser, Mitt., S. 458.	٣
الصفة (٥٤) .	٤
Glaser, Mitt., S. 100.	٥
Glaser, Mitt., S. 100.	٦

ذى يزن) الذي ثار على الحبش، واستعان بالفرس لانقاذ بلاده من أيدي الأحياء،
وأما معديكرب بن سميغ ، فيرى الباحثون أنه ابن (السميغ أشوع)^٢.
جاء اسمه بين أسماء الأقبال الذين ثاروا على أبرهة ، وانضموا الى ثورة (ابن كبشة) . فهو من الأقبال الحاقدين على أبرهة لاغتصاب أبرهة الملك
والده . ولهذا انضم الى (يزين بن كبشة) سيد (كدت) (كندة) وحا
معه الحبش^٣ .

وفي أثناء وجود أبرهة في مأرب قضي على عصيان الأقبال الذين انضموا
ثورة (يزيد) ، وأبوا الخضوع لحكم أبرهة بعد استسلام يزيد وخضوعه. وك
استسلمت قبيلة كدار (كيدار) (كدر)^٤ ، وتحسن موقفه بذلك كثير
وأصبح سيد اليمن وصاحب الأمر . أما الذين ساعدوه وآزروه وعاونوه وآ
حواله ، فهم : ذو معاهر^٥ و (بن ملكن) ابن الملك^٦ ومرجرف وذو ذر
وعدل (عادل) و ذو فيش ، وذو شولمان (ذو الشولم)^٧ و (ذو شعبان
(ذو الشعب) وذو رعين (ذرعن) ، و (ذو همدان)^٨ و (ذو الكلاع)^٩
و (ذ مهلم) (ذو مهد) و (ذ ثت) (ذو ثت) (ذو ثات) و (عدل
و (ذو يزان) (ذ يزن) (ذو يزن) ، و (ذو ذبين) (ذو ذبيلا
و (كبر حضرموت) كبير حضرموت ، وذو فرنة (ذ فرنة) . وقد ذ
النص أنهم كانوا الى جانب الملك ، وانهم كانوا على ود وصداقة معه . و
بالطبع من أسر عريقة ، ومن كبراء القوم ، وقد وردت أسماء بعض أسرهم
النصوص المدونة قبل الميلاد .

Glaser, Mitt., S. 101. ١

Handbuch, S. 106. ٢

Beiträge, S. 93. ٣

٤ (كدر) في النص ، السطر ٣٤ من النص .
٥ (ذ معهر) في النص السطر ٨٢ .
٦ (بن ملكن) السطر ٨٣ .
٧ (ذ ذرنج) ، السطر ٨٣ من النص .
٨ (ذ شولمان) ، السطر ٨٤ من النص .
٩ (ذ شعبان) ، السطر ٨٤ من النص .
١٠ (ذ همدان) ، السطر ٨٥ من النص .
١١ (ذ كلمن) ، السطر ٨٥ من النص .

ولم يذكر في هذا النص اسم (كبر حضرموت) ، أي كبير حضرموت الذي كان يحكم حضرموت في أيام أبرهة ، ويظهر من ذكره مع الرجال الذين حضروا إلى مأرب أنه كان تابعاً لأبرهة ، أو أنه كان حليفاً له^١ .

وتدل جملة (بن ملكن) ، على أن المراد بها (ابن الملك) ، أي (ابن أبرهة) ، ولم يشر النص إلى اسمه . فلعله قصد أكبر أولاده . ويرى البعض أنه كان يحكم (وعلان) (ذو ردمان) ، وأنه كان يلقب بـ (ذمعهر) . (ذو معاهر) (ذو معهر) . وقد أشار (الهمداني) إلى (ذي المعاهر) . وذكر أنه قصر (وعلان) بـ (ردمان)^٢ .

وفي أثناء وجود أبرهة في مأرب ، وفدت إليه وفود من النجاشي ومن ملك الروم (ملك رمن) ومن ملك الفرس (ملك فرسن) ، ورسل من (المنذر) (رسل منزن) ومن (الحارث بن جبلة) (رسل حرثم بن جبلة) ومن (أب كرب بن جبلة) (أبكرب بن جبلة) (رسل ابكرب بن جبلة) ومن رؤساء القبائل^٣ . ويلاحظ أن النص قد قدم النجاشي على ملك الروم ، كما قدم ملك الروم على ملك الفرس ، ثم ذكر من بعد ملك الفرس اسم المنذر والحارث ابن جبلة وأبي كرب بن جبلة (ابكرب بن جبلة) . أما تقديم النجاشي على غيره فأمر لا بد منه ، وذلك لسيادة الحبشة ولو بالاسم على اليمن ، واعتراف أبرهة بسيادة مملكة اكسوم عليه . وفي ارسال مندوب عن النجاشي إلى أبرهة في مهمة سياسية ، دليل ضمني على انفراد أبرهة بالحكم ، واستقلاله في إدارة اليمن حتى صار في حكم ملك مستقل ، يستقبل وفود الدول ورسولهم ومن بينهم وقد من ملك قامت حكومته بغزو اليمن والاستيلاء عليها . وأما تقديم ملك الروم على ملك الفرس ، فلصلة الدين والسياسة بين الحبشة والروم واليمن ، فللروم الأسبقية والأفضلية اذن على الفرس .

ويلاحظ أيضاً أن النص قد استعمل كلمة (محشكت) للوفد أو الرسل الذين جاؤوا إلى أبرهة من النجاشي ومن ملك الروم ، فكتب (محشكت نجاشين)

Glaser, Mitt., S. 467. ١

Belträge, S. 39. ٢

السطر ٨٨ من النص ، وما بعده إلى السطر ٩٣ . ٣

و (محشكت ملك رمن) أي (رسل النجاشي) (سفراء النجاشي) (سفير النجاشي) و (رسل ملك الروم) . وتعني كلمة (محشكت) في اللغة السبئية (الزوجة) ، فعبر في هذا النص بهذه الكلمة عن معنى (سفير) (سفراء) و (رسل حكومة صديقة مقربة) ، فلها إذن هنا معنى دبلوماسي خاص^١ . أما بالنسبة الى رسل (ملك الفرس) ، فقد أطلق عليهم كلمة (تنبلت) ، فكتب (تنبلت ملك فرس) ، أي (وفد ملك الفرس) وذلك يشير الى أن هذه الكلمة معنى خاصاً في العرف السياسي يختلف عن معنى (محشكت) ، وأن الوفد لم يكن في منزلة وفدي الحبشة والروم ودرجتها .

ولقد أحدث مجيء مندوب النجاشي (ربحيز زيمين) ومندوب ملك الروم ومبعوث ملك الفرس، ورسول المنذر ملك الحيرة ، والحارث بن جبلة وأبي كرب ابن جبلة ، أثراً كبيراً ولا شك في نفوس العرب الجنوبيين ، وفي نفوس الأقبال وقبائلهم ، ففجئ هؤلاء الى اليمن ، وقطعهم المسافات الشاسعة ، ليس بأمر يسير ، وفيه أهمية سياسية كبيرة . وفيه تقدير لأبرهة ولمكانته في هذه البقعة الخطيرة المسيطرة على البحر الأحمر وفيه عند باب المنذب ، وعلى المحيط الهندي . كما أحدثت الأبهة التي اصطنعها أبرهة لنفسه في اليمن . والقوة التي جمعها في يديه أثراً كبيراً ولا شك أيضاً في نفوس المبعوثين الذين قطعوا تلك المسافات للوصول الى عاصمة سبأ ذات الأثر الخالد في النفوس^٢ .

ولم يكن مجيء هؤلاء المبعوثين الى أبرهة لمجرد التهنتة أو التسلية أو المجاملة أو ما شاكل ذلك من كلمات مكتوبة في معجمات السياسة . ولكن لأمر أخرى أبعد من هذه وأهم ، هي جرّ أبرهة الى هذا المعسكر أو ذلك ، وترجيح كفة على أخرى ، وخنق التجارة في البحر الأحمر ، أو توسيعها ، ومن وراء ذلك اما نكبة تحمل بمؤسسات الروم وتجاراتهم ، واما ربح وافر يصيبهم بما لا يقدر . لقد كان العالم إذ ذاك كما هو الآن ، جبهتين : جبهة غربية ، وجبهة أخرى شرقية : الروم والفرس . ولكل طبّالون ومزمرّون من الممالك الصغيرة وسادات القبائل يطبّلون ويزمرون ، ويرضون أو يغضبون ، ويشبون أو يعاقبون لإرضاء

Glaser, Mitt., S. 408, Praetorius, in ZDMG., 48, S. 650. ١

Glaser, Mitt., S. 421. ٢

للجبهة التي هم فيها ، وزلفى اليها وتقرباً . لقد سخر الروم كل قواهم السياسية للهيمنة على جزيرة العرب ، أو ابعادها عن الفرس وعن الميادين اليهم على الأقل . وعمل الفرس من جهتهم على تحطيم كل جبهة تميل إلى الروم وتؤيد وجهة نظرهم وعلى منع سفنهم من الدخول إلى البحر الهندي ، والاتجار مع بلاد العرب . وعمل المعسكران بكل جد وحزم على نشر وسائل الدعاية واكتساب معركة الدعاية والفكر ، ومن ذلك التأثير على العقول . فسعى الروم لنشر النصرانية في الجزيرة ، فأرسلوا المبشرين وساعدوهم ، وحرصوا الحبيشة على نصرها ونشرها ، وسعى الفرس لنشر المذاهب النصرانية المعارضة لمذهب الروم والحبيشة ولتأييد اليهودية أيضاً ، وهي معارضة لسياسة الروم أيضاً . ولم يكن دين الفرس كما نعلم نصرانياً ولا يهودياً ، وإنما هو دين بغيض إلى أصحاب الديانتين . ولم يكن غرض الروم من بث النصرانية أيضاً خالصاً لوجه الله بريئاً من كل شائبة .

أما النجاشي الذي أرسل الوفد إلى أبرهة فاسمه (ربحيز زيمان) (ربحيز زيمان) كما ذكر ذلك أبرهة نفسه . ولا يعرف من أمر هذا النجاشي شيء كثير ، ولا يعرف كذلك أكان قد خلف النجاشي (كالب ابلا أصبحة) Kaleb Ela Asbeha الذي بأمره كان الفتح ، أم كان خلفاً لخليفته . وقد أشرت من قبل إلى ما ذكره (بروكويوس) وأهل الأخبار عن التوتري الذي كان بين نجاشي الحبيشة وأبرهة ، وعن امتناع أبرهة عن دفع جزية سنوية اليه . ويظهر ان أبرهة رأى أن من الخير له مصالحة النجاشي والاعتراف بسلطانه اسماً ، وفي ذلك كسب سياسي عظيم ، كما هو كسب للنجاشي ولو صورياً ، فدفع الجزية له ، وتحسنت العلاقات .

وأما (ملك رمن) ملك الروم ، فلم يذكر (أبرهة) اسمه في نصه . ولكن يجب أن يكون هو القيصر (يوسطيانوس) Justinian الذي حكم من سنة (٥٢٧) حتى سنة (٥٦٦) للميلاد ، وكان حكمه بعد حكم (يسطين) السني ولي الحكم من سنة (٥١٨) حتى سنة (٥٢٧) للميلاد . وكان (يوسطيانوس) (يوسطيان) قد وضع خطة للتحالف مع الحبش ومع حير للإضرار بالفرس . وراسل (السميغ أشوع) Esimiphæus للاتحاد معه ولمحاربة الفرس . فلما تولى (أبرهة) الحكم عاد القيصر فاتصل به ، وتودد اليه لتنفيذ ما عرضه على (السميغ أشوع)

من مهاجمة الفرس . فوافق أبرهة على ذلك ، وأغار عليهم ، غير أنه ترجع بسرعة^١ .

وأما (حرثم بن جبلت) ، فهو الحارث بن جبلة ملك الغساسنة ، وأما (ابكرب بن جبلت) ، فإنه Abochorabus المذكور في تأريخ (بروكوبيوس) . وقد ذكر هذا المؤرخ أن القيصر (يوسطنيانوس) (يوسطنيان) Justinian كان عينه عاملاً (فيلارخا) Phylarch على عرب السرسين Saracens بفلسطين ، وأنه كان رجلاً صاحب قابليات وكفاية ، تمكن من تأمين الحدود ومن منع الأعراب من التعرض لها ، وكان هو نفسه يحكم قسماً منهم ، كما كان شديداً على المخالفين له . وذكر أيضاً أنه كان يحكم أرض غابات النخيل جنوب فلسطين ، ويجاور عربها آخرون يسمون (معديني) (معدن) Maddeni هم أتباع لـ (حمير) Homeritae^٢ .

أراد هذا الرئيس أن يتقرب الى القيصر ، وأن يبالغ في تقربه اليه وفي إكرامه له ، فنزل له عن أرض ذات نخيل كثير ، عرفت عند الروم بـ Phoinikon (واحة النخيل) ، أو (غابة النخيل) وهي أرض بعيدة ، لا تُبلغ إلا بعد مسيرة عشرة أيام في أرض قفرة . فقبل القيصر هذه الهدية الرمزية ، إذ كان يعلم ، كما يقول المؤرخ (بروكوبيوس) عدم فائدتها له ، وأضافها الى أملاكه ، وعين هذا الرئيس عاملاً (فيلارخاً) على عرب فلسطين^٣ .

وقد قام ملك هذا الرئيس على ملك رئيس آخر كانت له صلوات حسية بالروم كذلك ، هو (امرؤ القيس) Amorkesos الذي سبق ان تحدثت عنه في كلامي على علاقة العرب بالبيزنطيين .

و (غابة النخيل) التي ذكرناها ، تجاور أرض قبيلة (معد) Maddeni ، وكانت معد كما يظهر من أقوال المؤرخ (بروكوبيوس) خاضعة في عهده لحكم الحميريين . وقد ذكرت كيف أن القيصر توسط لدى (السميغ أشوع) ليوافق

ZDMG., 35, 1881, S. 36. ١

Procopius, I, XIX, 8-16, P. 180, Glaser, Mitt., S. 437. ٢

Procopius, I, XIX, 2-16, Bulletin of the School of Oriental and African ٣

Studies, University of London, Vol., XVI, Part : 3, 1954, P. 428,

Musil, Hegay, P. 307.

على تعيين (قيس) رئيساً على معد . وقد تمردت هذه القبيلة على (أبرهة) ، فسيّر إليها قوة لتأديبها ، كما يظهر ذلك من كتابة أمر (أبرهة) بكتابتها لهذه المناسبة . أدبها بقوة سيّرها إليها في شهر (ذو ثبئن) من شهور فصل الربيع ، فانهمزت معد ، وأنزلت القوة بها خسائر فادحة . وبعد أن تأدبت وخضعت ، اعترف (أبرهة) بحكم (عمرو بن منذر) عليها ، وتراجعت القوة عنها^١ .

و Maddenoi ، هي قبيلة Ma'addaya التي ذكرها (يوحنا الأفسوسي) John of Ephesus مع (طياية) Taiyaye في كتابه الذي وجهه إلى أسقف (بيت أرشام) Beth Arsham ، ويظهر من هذا الكتاب أن عشائر منها كانت مقيمة في فلسطين .

وفي القرآن الكريم سورة ، أشارت إلى سيل العرم ، هي سورة سبأ ، ورد فيها : « لقد كان لسبأ في مسكنهم آية ، جنات عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدّلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمطٍ وأثلٍ وشيءٍ من سدرٍ قليل^٢ . ولم يحدد المفسرون الوقت الذي تهدم فيه السد^٣ .

ول (أبرهة) نص آخر ، كتبه بعد النص المتقدم ، لمناسبة غزوه (غزويو) (معداً) ، في شهر (ذو ثبئن) (ذي ثبت) (ذي الثبت) (ذي الثبات) من شهور سنة (٦٢٢) من التقويم الحميري الموافقة لسنة (٥٤٧) أو (٥٣٥) للميلاد . وهذا النص عثرت عليه بعثة (ريكمنس) مدوناً على صخرة بالقرب من بئر (مريغان) . فوسم بـ Ryckmans 506 . وقد ترجمه (ريكمنس) G. Ryckmans الى الفرنسية ، ثم الى لغات أخرى^٤ .

١ Le Muséon, LXVI, 1953, 3-4, P. 277, Ryckmans, No. 506.

٢ سورة سبأ ، الآية ١٥ وما بعدها .

٣ تفسير الطبري (٥٢/٢٢ وما بعدها) ، تفسير النيسابوري (٥٠/٢٢ وما بعدها) ، (حاشية على تفسير الطبري) تفسير الالوسي (١١٥/٢٢) .

٤ تاريخ العرب قبل الاسلام (٣٩٦/٤ وما بعدها) .

Le Muséon, 66, 1953, P. 275, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, 1954, Vol., XVI, Part, 3, P. 435, W. Caskel, Entdeckungen in Arabien, S. 27, Sidney Smith, Events in Arabia in the 6th Century A. D. BSOAS, 1954, P. 435, A. F. L. Beeston, Notes on the Muraighan Inscriptions, in BSOAS, 1954, P. 389.

وفي النص مواضع طمست فيها معالم بعض الحروف ، عزّ بذهابها فهم المعنى وضبط الأعلام . كما أن فيها بعض تعابير معقدة ، عقدت على من عاجله فهم المعنى فهماً واضحاً ، ثم هو نص قصير لا يتجاوز عشرة أسطر ، واختصر وصف الحوادث حتى صيّرَه وكأنه برقية من برقيات (التلغراف) ، ولكنه مع كسل هذا ذو خطر بالغ ، لأنه يتحدث عن حوادث لم تكن نعرف عنها شيئاً ، ويصف الأوضاع السياسية في ذلك العهد ، ويشير الى اتصال ملوك الحيرة بالحيش والى سلطان حكّام اليمن على القبائل العربية ، مثل معدّ ، مع أنها قبائل قوية وكثيرة العدد . وهو مما يؤيد رواية أهل الأخبار في أنه كان لليمن نفوذ على قبائل معدّ وأن تبابعة اليمن كانوا ينصبون الملوك والحكّام على تلك القبائل .

وقد تلقب (أبرهة) في هذا النص كما تلقب في نص سدّ مأرب بلقب الملك الذي كان يتلقب به ملوك اليمن ، وهو : (ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت (اليمن) وأعرابها في النجّاد (طودم) وفي المنخفضات (تهمتم) ، (تهامة) ، كما افتتحه بجملة : (بخيل رحمن ومسحهو) ، أي (بحول الرحمن ومسيحه) ، وقد سبق لـ (أبرهة) أن افتتح نصه الذي دوّنه على (سد مأرب) بجملة : (بخيل ودا ورحمت رحمن ومسحهو ورح قدس) ، ومعناها : (بحول وقوة ورحمة الرحمن ومسيحه روح القدس) ، والجملتان من الجمل السني ترد في نصوص اليمن لأول مرة ، وذلك بسبب كون أبرهة نصرانياً ، وقد صارت النصرانية في أيام احتلال الحيش لليمن ديانة رسمية للحكومة ، باعتبار أنها ديانة الحاكمين . وعرف (أبرهة) في النصين بـ (ابره زييمن) ، أي (أبرهة زييمان) ، ولفظة (زي ب م ن) (زييمن) من ألقاب الملك في لغة الأحباش¹ . واليك هذا النص كما دوّنه (ريكننس) عن النص الأصيل :

« بخيل رحمن ومسحهو ملكن ابره زييمن ملك سبا وذ ريدان وحضرموت ويمنت واعرهمو طودم وتهمت سطر وذن سطرن كغزيو معدم غزوتن ربعتن بورخن ذ ثبتن كقسدو كل بنيعمرم وذكى ملكن ابجر بعم كدت وعل وبشرم بنحصنم بعم سعدم وم . خ ض . و وضرو قديمي جيشن على بنيعمرم كدت وعلى ود . ع . ز . رن . مردم وسعدم بود بمنهج تربن وهرجو وازرو ومنمو ذ عسم ونخص ملكن

Le Muséon, 1953, 3-4, P. 279.

حلبين ودنو كظل معدم ورهنو وبعدهو وزعهمو عسرم بن مذرن ورهنهمو بنهو
وستخلفهوه على معدم معدم وقفلو بن حلبن بنخيل رحمنن ورخهوه ذلثني وستي
وست ماتم^١ .

ونصه في عربيتنا :

« بحول الرحمن ومسيحه . الملك أبرهة زبيان ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت
ويعنت (اليمن) وأعرابها في الطود (الهضبة) وفي تهامة (المنخفضات) . سطوروا
هذه الأسطر لما غزت معد : الغزوة الربيعية بشهر ذو الثبات (ذوثين) (ذو الثبت) .
ولما غلظ (ثار) كل (بنو عامر) . أرسل الملك (أبا جبر) بقبيلة (كدت)
كندة وقبيلة (عل) و (بشر بن حصن) (بشرم بن حصم) بقبيلة (سعد)
لحرب (بني عامر) فتحركا بسرعة^٢ وقدما جيشها نحو العدو : فحاربت (كدت)
كندة وقبيلة (عل) بني عامر ومراداً ، وحاربت (سعد) بواد (بمنهج)
ينهج (يؤدي) إلى (ترين) (الترب) . فقتلوا من بني عامر وأسروا وكسبوا
غنائم^٣ . وأما الملك ، فحارب بـ (حلبن) (حلبان) ، وهزمت معد ، فرهنت
رهائن عنده .

وبعدئذ ، فاوض (عمرو بن المنذر) (عسرم بن مذرن) ، وقدم رهائن
من أبنائه . فاستخلفه (اقره) على معد . وقفل (أبرهة) راجعاً من (حلبن)
(حلبان) . بحول الرحمن . بتاريخ اثنين وستين وست مئة » .

وقد درس بعض الباحثين هذا النص ، فذهب بعضهم الى أنه يشير الى حملة
أبرهة على مكة في العام الذي عرف عند أهل الأخبار بـ (عام الفيل) وأشير
اليها في القرآن الكريم^٤ . وذهب بعض آخر الى أنه يشير الى غزو قام به أبرهة
تمهيداً لحملة كان عزم القيام بها نحو أعالي جزيرة العرب ، فتوقفت عند مكة^٥ .

Le Muséon, 1953, 3-4, P. 277.

١ (ومخضو) ، (وفي الحديث : أنه من عليه بجنازة تمخض مخضاً ، اي تحرك

تحريكاً سريعاً) ، اللسان (٢٣١/٧) ، (صادر) ، (م/خ/ض) .

٢ (ذعسم) (العسسم : الاكتساب ، والاعتسام : الاكتساب) ، اللسان

(٤٠٢/١٢) ، (صادر) ، (ع/س/م) .

٣ سورة الفيل ، الآية ١ فما بعدها) ،

F. Altheim — R. Stiehl, Araber und Sasaniden, Berlin, 1954, S. 200-207,

Finanzgeschichte der Spatantike, S., 145, 353, Le Muséon, 1965, 3-4, P. 428.

W. Caskel, Entdeckungen in Arabien, S. 30, Le Muséon, 1965, 3-4, P. 426.

وذهب آخرون الى أن ما جاء في هذا النص لا علاقة له بحملة الفيل ، ذلك لأن هذه الحملة كانت في سنة (٥٤٧) للميلاد على تقديرهم ، على حين كانت حملة الفيل سنة (٥٦٣) على تقديرهم أيضاً^١ .

وذهب (بيستن) الى أن هذا النص يتحدث عن معركتين : معركة قام بها (أبرهة) في (حلبان) : ومعركة كندة وسعد - مراد بموضع (ترين) (الترب) (تربة) ، وقد حاربت فيها جماعة من القبائل^٢ .

ويظهر من النص ان (أبرهة) غزا بنفسه معداً في شهر (ذي ثين) من ربيع سنة (٦٦٢) من التقويم السبئي ، والتقى بها في موضع (حلبن) (حلبان) ، فهزمها وانتصر عليها ، فاضطرت عندئذ الى الخضوع له ومهادنته ، والى وضع رهائن عنده تكون ضماناً لديه بعدم خروجها مرة ثانية عليه . فوافق على ذلك . وفيما كان في (حلبان) بعد اتفائه مع معد ، جاءه (عمرو بن المنذر) (عمرو ابن مذن) ، وكان أبوه (المنذر) عينه أميراً على معد ، ليفاوضه في أمر (معد) فقابلته بـ (حلبان) ، وأظهر له استعداد أبيه (المنذر) على وضع رهائن عنده لئلا يتكرر ما حدث ، وبحصول اعترافه على تولي عمرو حكم (معد) فوافق أبرهة على ذلك ، وقفل (وقفلو) أبرهة راجعاً الى اليمن ، وسوى بذلك خلافه مع معد . وصار (عمرو بن المنذر) رئيساً على معد بتعيين أبيه له عليها وبثبيت (أبرهة) هذا التعيين^٣ .

و (حلبان) موضع في اليمن في أرض (حضور) ، وذكر انه موضع في اليمن على مقربة من (نجران) ، وانه موضع ماء في أرض (بني قُشَيْر) . وقد وعت ذاكرة أهل الأخبار على ما يظهر شيئاً عن المعركة التي نشبت في هذا الموضع إذ رووا شعراً للمخبل السعدي يفخر بنصرة قومه (أبرهة بن الصباح) ملك اليمن^٤ . وكانت (خندف) حاشيته . ذكروا أنه قال :

١ A. G. Lundin, Yujnaya Arabia W VI Weke (Palestynski Sbornik, 1961,

PP. 73, 82), Le Muséon, 1965, 3-4, P. 427.

٢ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 426, BSOAS, 1954, P. 391.

٣ في النص ثغرات والفاظ تجعل من الصعب على الباحث ضبط الترجمة الحرفية والمعنى للنص .

٤ البكري ، معجم (٤٦١/٢) ، (حلبان) (حلبان من أرض الأخرج بين حضور وحدان) ، الأكليل (١٥٨/٢) ، (حاشية ١) .

صرموا لأبرهة الأمور محلها حلبان فانطلقوا مع الأقوال
ومحرق والحارثان كلاهما شركاؤنا في الصهر والأموال^١

وأورد (الهمداني) أحياناً فيها اسم موضع (حلبان) واسم (أبي يكسوم) ،
وهي قوله :

ويوم أبي يكسوم والناس حضر^٢ على حلبسان إذ تقضي محامله
فتحننا له باب الحضير وربته عزيز يمشي بالسيوف أراجله

وقد روى هذان البيتان وهما من شعر (المخبل المعدي) في هذا الشكل :

ويوم أبي يكسوم والناس حضر على حلبسان إذ تقضي محامله
طوبنا لهم باب الحصين ودونه عزيز يمشي بالحراب مقالته^٣

ويظهر من هذا الشعر أن (أبرهة) لما جاء بجيشه إلى موضع (حلبان) ،
وجد مقاومة ، ووجد أبواب الحصن مغلقة ، وقد تحصن فيه المقاومون له ودافعوا
عنه ، فهجم قوم الشاعر عليه ، ففتحوا باب الحصن ، ودخلوه .

أما تأديب (بني عامر) ، فلم يقم به (أبرهة) بنفسه ، بل قام به قائد
اسمه (الجبر) (أبو جبر) ، قاد قبيلتي (كدت) ، أي (كندة) و (عل) ،
وقائد آخر اسمه (بشرم بن حصن) ، أي (بشر بن حصن) ، قاد قبيلة
(سعدم) ، أي (سعد) (بنو سعد) . وسار القائدان بجيشها وتقدما بهما
إلى (بني عامر) ، وحاربا على هذا النحو : حاربت (كندة) و (عل)
قبائل سقطت بعض الحروف من اسم كل واحدة منها، فبقي من أحدهما (ودع)
وبقي من الأخرى (زرن) (ز. رن) وقبيلة (مردم) ، أي (مراد) .
وحاربت (سعد) بواد يؤدي إلى (ترين) (الترب)^٣ ، فقتلوا وأسروا
(ازرو) وأصابوا غنائم^٤ . ولم يسم النص الوادي الذي يؤدي إلى (الترب) .

١ اللسان (٣٣٤/١) ، (صادر) ، تاج العروس (٣١٤/٢) ، (طبعة الكويت) ،

(ضربوا) بدلا من (صرموا) ، البكري (٤٦١/٢) .

٢ Le Muséon, 1965, 3-4, P 430.

٣ (بود بمنهج ترين) ، السطران الخامس والسادس من النص .

٤ السطر السادس من النص .

ويظهر أن موضع (ترين) الذي يؤدي إليه الوادي الذي جرت فيه المعركة، هو موضع (تربة) ، مكان في بلاد بني عامر ، ومن مخاليف مكة النجدية ، على مسافة ثمانين ميلاً تقريباً الى الجنوب الشرقي من الطائف^١ . وذكر أنه واد بقرب مكة على يومين منها ، يصب في بستان ابن عامر ، حوله جبال السّراة ، وقيل انه واد ضخم ، مسيرته عشرون يوماً أسفله بنجد وأعلاه بالسراة، وقيل : يأخذ من السراة ويفرغ في نجران ، وقيل : موضع من بلاد بني عامر بن كلاب واسم موضع من بلاد بني عامر بن مالك^٢ .

و (عمر بن مذن) ، هو (عمرو بن المنذر) ملك الحيرة ، وكان أبوه (المنذر) حليفاً للساسانيين . فيكون قد عاصر (ابراهة) اذن ، ويكون (عمرو) ابنه من المعاصرين له أيضاً .

وقصد ب (بنيعمرم) ، (بني عامر) . وهم (بنو عامر بن صعصعة) من (هوازن)^٣ .

ومراد ، هي قبيلة مراد التي منها (غطيف) . وفي أيام الرسول وفد عليه (فروة بن مسيك المرادي) مفارقاً للملوك كندة . وقد كانت بين مراد وهمدان قبيل الاسلام وقعة ظفرت فيها همدان ، وكثر فيها القتلى في مراد . وعرفت تلك الوقعة بيوم الروم . ورئيس همدان الأجدع بن مالك والد مسروق^٤ .

وأما (سعدم) أي قبيلة (سعد) ، التي قادها (بشر بن حصن) في هذه المعركة ، فلم يذكر النص هويتها . غير أننا إذا ما أخذنا بشعر (المخبّل السعدي) الذي افتخر به بنصرة قومه لأبرهة في يوم (حلبان) وبانضمامهم اليه، ففي استطاعتنا أن نقول حينئذٍ : إن قومه هم (سعدم) أي (سعد) القبيلة المذكورة في النص .

و (الجبر) اسم قد يقرأ (أبو جبر) ، وقد يكون (أبو جابر) وقد

١ البكري (٣٠٩/١) ، (مادة تربة) ،

Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, VOL., XVI, Part 3, 1954, P. 430.

٢ تاج العروس (٦٨/٢ وما بعدها) (طبعة الكويت) ، اللسان (٢٣١/١) ، (صادر) .

٣ الاشتقاق (١٧٧/٢ ، ١٧٨) ، Le Muséon, 3-4, 1953, P. 341.

٤ ابن الاثير (١٢٣/٢) .

يكون (أجبِر) وقد يكون (أبو جبار) . وكل هذه الأسماء هي أسماء معروفة عند الجاهليين . وقد ذهب (كستر) (M. J. Kister) الى احتمال كونه (يزيد ابن شرحبيل الكندي) أو (أبو الجبر بن عمرو) ، وهو من كندة أيضاً^١ . وهو من (آل الجون) من بطون كندة^٢ .

وقد أُشير في كتب أهل الأخبار الى أمير من أمراء كندة عرف بـ (أبي الجبر) وقد ذكر في مقصورة (ابن دريد)^٣ . وروى أنه زار (كسرى) ليساعده على قومه ، فأعطاه جماعة من (الأساورة) أخذهم معه ليساعده ، فلما وصل إلى (كاظمة) سثموا منه ، وأرادوا التخلص منه فذسّوا السم له في طعامه . ولكنه لم يمت منه ، بل شعر بألم منه ، فأكرهه الأساورة على أن يكتب كتاباً لهم يحملونه معهم الى (كسرى) يذكر فيه أنه سمح لهم بالعودة ، فكتب لهم كتاباً ثم سافر الى (الطائف) ، فعالجه (الحارث بن كسلدة الثقفي) ، حتى شفي ، فوهبه جارية كانت له اسمها (سمية) أهداها له (كسرى) ، ثم ذهب الى اليمن ، ولكن عاوده مرضه في طريقه اليها فمات . وقد رأى (كستر) أنه هو (أبو جبر) المذكور في النص^٤ .

وأما (بشر بن حصن) ، أي (بشر بن حصن) ، أو (بشر بن حصين) أو (بشر بن حصن) أو (بشر بن حصين) أو (بشر بن حصن) ، فقد ذهب (لُندن) (Ludin) ، الى أنه احد سادات (كندة)^٥ .

لقد أشرت الى رأي بعض الباحثين في هذه الحملة ، والى ذهاب بعضهم الى انها كانت حملة الفيل ، أي حملة أبرهة المذكورة في القرآن الكريم على مكة . كما أشرت الى رأي آخر ، ذكر أن هذه الحملة كانت مقدمة لحملة الفيل ، أي حملة

١ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 434.

٢ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 436.

٣ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 434.

مقصورة ابن دريد ، (ص ٨٢) (طبعة الجوائب) ، القاهرة ١٣٠٠ هـ ، نزهة

الجليس (١ / ٤٨٤) .

٤ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 434.

٥ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 435, A. G. Ludin, Yujnaya Arabla W VI

Weke Palestyniski Sbornik 1961, PP. 73-84.

تجريبية سبقت تلك الحملة . وحجة الفريق الأول ما ورد في بعض الروايات من أن مولد الرسول كان بعد عام الفيل بثلاث وعشرين سنة^١ . أي في حوالي السنة (٥٤٧) للميلاد . وهو تأريخ ينطبق مع السنة المذكورة في النص ، اذا أخذنا برأي من يجعل مبدأ التقويم الحميري سنة (١١٥) قبل الميلاد^٢ . ومن ورود رواية أخرى في حساب السنين عند قريش ، تظهر بنتيجة حسابها وتحويلها أن عام الفيل كان في سنة (٥٥٢) بعد الميلاد ، وهو تأريخ ينطبق مع تأريخ النص أيضاً اذا أخذنا برأي (ريكمنس) في مبدأ التقويم الحميري من أنه كان سنة (١٠٩) لا (١١٥) قبل الميلاد^٣ .

وأبرهة هذا هو (صاحب الفيل) الذي قصد بفيلته وجنده هدم الكعبة وإكراه الناس على الحج الى (القلبيس) الكنيسة التي بناها بمدينة (صنعاء) في روايات الأخباريين . وهي كنيسة قال عنها أهل الأخبار ، انها كانت عجيبة في عظمتها وضخامتها وتزويقها من الداخل والخارج ، حتى ان (أبرهة) لما انتهى من بنائها كتب الى النجاشي : « لاني قد بنيت لك بصنعاء بيتاً لم تبني العرب ولا العجم مثله »^٤ . أو « لاني قد بنيت لك ايها الملك كنيسة لم يبني مثلها ملك كان قبلك »^٥ . ويبالغ أهل الأخبار في وصفها فيذكر (الأزرقى) ، انه بناها بجانب قصر غمدان ، وأنه أقامها بحجارة قصر بلقيس بمأرب ، نقلها العمال والفعلة والمسخرين من مأرب الى صنعاء . فهدموا ذلك القصر وأخذوا حجروه وما يصلح للبناء من مادة ، ثم نقلوه الى صنعاء لاستعماله في بناء تلك الكنيسة التي بنوها بناءً ضخماً عالياً ، وجعلوا جدرانها من طبقات من حجر ذي ألوان مختلفة . لون كل طبقة يختلف عن الطبقة التي تحتها أو التي فوقها . وزينوا الجدران بأفاريز من الرخام والخشب المنقوش . وجعلوا الرخام ناتئاً عن البناء ، وجعلوا فوق الرخام

-
- ١ البدء والتأريخ (١٣١/٤ وما بعدها) ، تأريخ العرب في الاسلام (٩١/١) .
 - ٢ Le Muséon, 1965, 3-4, PP. 426, 427.
 - ٣ Le Muséon, 1965, 3-4, PP. 427, 428.
 - ٤ الأزرقى (٨٢/١ وما بعدها) ، تفسير الطبري (١٩٣/٣٠) ، تفسير القرطبي (١٨٧/٢٠) .
 - ٥ ابن هشام (٤٣/١) ، ابن كثير ، البداية (١٦٩/٢) ، (١٧٠/٢) وما بعدها ، (مطبعة السعادة ، سنة ١٩٣٢ م) ، (القاهرة ، تفسير ابن كثير (٥٤٨/٤) وما بعدها) ، (عيسى البابي الحلبي) .

حجارة سوداً لها بريق ، وفوقها حجارة بيضاً لها بريق ، فكان هذا ظاهر حائط القليس . وكان عرضه ست أذرع . وكان للقليس باب من نحاس عشر أذرع طولاً في أربع أذرع عرضاً . وكان المدخل منه الى بيت في جوفه ، طوله ثمانون ذراعاً في أربعين ذراعاً معلق العمد بالسياج المنقوش ومسامير الذهب والفضة ، ثم يدخل من البيت إلى إيوان طوله أربعون ذراعاً ، عن يمينه وعن يساره ، وعقوده مضروبة بالفسيفساء مشجرة ، بين أضعافها كواكب الذهب ظاهرة ، ثم يدخل من الإيوان الى قبة ثلاثون ذراعاً في ثلاثين ذراعاً ، جدرانها بالفسيفساء ، فيها صلب منقوشة بالفسيفساء والذهب والفضة ، وفيها رخامة مما يلي مطلع الشمس من البلق مربعة عشر أذرع في عشر أذرع ، تغطي عين من ينظر إليها من بطن القبة تؤدي ضوء الشمس والقمر الى داخل القبة ، وكان تحت القبة منبر من خشب اللبخ ، وهو عندهم الآبنوس ، مفصّد بالعاج الأبيض . ودرج المنبر من خشب الساج ملبسة ذهباً وفضة . وكان في القبة سلاسل فضة^١ . وفي القبة أو في البيت خشبة ساج منقوشة طولها ستون ذراعاً يقال لها كعيب ، وخشبة من ساج نحوها في الطول يقال لها : امرأة كعيب كانوا يتبركون بها في الجاهلية . وكان يقال لكعيب الأحوزي، والأحوزي بلسانهم الحر^٢ .

وكان أبرهة قد أخذ العمال بالعمل أخذاً شديداً ، وأمر بالعمل في بناء الكنيسة ليل نهار . وإذا تراخى عامل أو تباطأ عن عمله أنزل وكلاؤه به عقاباً شديداً ، يصل الى قطع اليد . وبقي هذا شأنه ودأبه حتى أكمل بناؤها وسرّ من رؤيتها ، فأصبحت بهجة للناظرين .

ونجد في وصف (الأزرقى) ومن تقدم عليه من أهل الأخبار للقليس شيئاً من المبالغة ، ولكنه على الاجمال وصف يظهر أنه أخذ من موارد وعته وشاهدته وأدركته . لذلك جاء وصفاً جيداً نابضاً بالحياة ، ينطبق على الكنائس الضخمة التي أنشئت في تلك الأيام في القسطنطينية أو في القدس أو في دمشق ، أو في المدن الأخرى . والظاهر من هذا الوصف ، أن فن العمارة اليانتي القديم قد أثر في شكل بناء هذه الكنيسة ، التي تأثرت بالفن البيزنطي النصراني في بناء الكنائس .

١ نهاية الأرب (٢٨٢/١) .

٢ الأزرقى (٨٤/١ وما بعدها) ، (٩٠/١) ، (خياط) .

ويذكر (الأزرقى) ان القليس بقي في صنعاء على ما كان عليه حتى ولى أبو جعفر المنصور الخلافة ، فولى (العباس بن الربيع بن عبيد الله الحارثي) (العباس بن الربيع بن عبد الله العامري) اليمن ، فذكر له ما في القليس من ذخائر ، وقيل له انك تصيب فيه مالا كثيرا وكترأ فتاقت نفسه الى هدمه . ثم استشار أحد أبناء وهب بن منبه وأحد يهود صنعاء فألحا عليه بهدمه ، وبين اليهودي له أنه اذا هدمه فإنه سيلي اليمن أربعين سنة ، فأمر بهدمه ، واستخرج ما فيه من أموال وذهب وفضة . وخاف الناس من لمس الخشبة المنقوشة التي كانوا يتبركون بها ، ثم اشتراها رجل من أهل العراق كان تاجراً بصنعاء وقطعها للدار له^١ . وخرّب القليس حتى عفى رسمه وانقطع خبره^٢ .

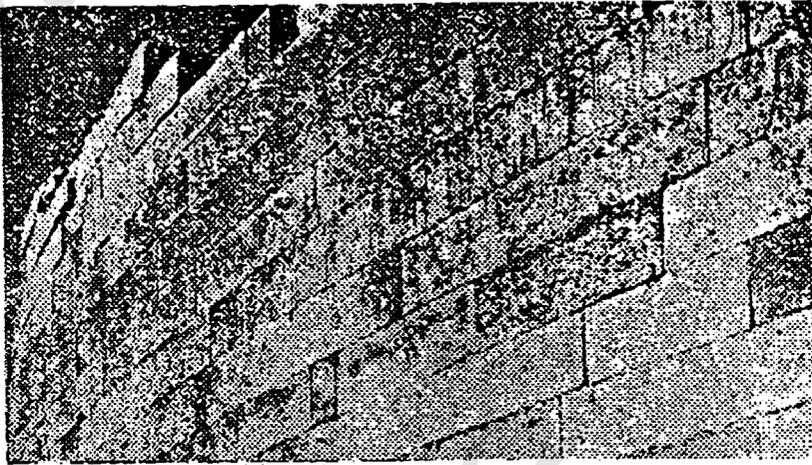
وإذا كان ما يقوله الأزرقى نقلاً عن رواة أدركوا تلك الكنيسة من أن أبرهة أقامها بأحجار قصر بلقيس باليمن ، فإنه يكون بذلك قد قوّض أثراً مهماً من آثار مدينة مأرب ، وأزال عملاً من الأعمال البنائية التي أقامها السبئيون في عاصمتهم قبله . وهو عمل مؤسف .

وفي صنعاء اليوم موضع يعرف بـ (غرفة القليس) ، يظن أنه موضع تلك الكنيسة ، وهو موضع حفير صغير ترمى فيه القمامات وعليه حائط ويقع أعلى صنعاء في حارة القطيع بقرب مسجد نصير^٣ .

وذكر (الهمداني) اسم قصر دعاه (القليس) نسب بناءه الى (القليس بن عمرو) ، وهو في زعمه من أبناء (شرحبيل بن عمرو بن ذي غمدان بن الى شرح يحضب) . وقال : انه بناه بصنعاء ، وهو بناء قديم . وذكر أيضاً أن (عمرو بنأر ذو غمدان ابن الى شرح يحضب بن الصوار) هو أول من شرع في تشييد (غمدان) بعد بنائه القديم^٤ .

-
- ١ الأزرقى (٨٦/١) ، نهاية الارب (٢٨٣/١) ، وفي رواية أخرى ، أن السفاح أول خلفاء بني العباس ، هو الذي أمر بهدمها ، البداية ، لابن كثير (١٧٠/٢) وما بعدها) . (السعادة) .
 - ٢ البلدان (١٥٦/٧) (القليس) .
 - ٣ الأكليل (٨٧/٢) ، حاشية لـ (لمحمد بن علي الاكوع الحوالي) ، رحلة في بلاد العرب .
 - ٤ الأكليل (٨٦/٢ وما بعدها) .
- السعيدة ، لنزيه مؤيد العظم ، (١٦٥/١) ، مصطفى مراد الدباغ ، الجزيرة العربية (٢٨٥/١) .

وقد أمر (أبرهة) ببناء كنيسة في (مأرب) أشار الى بنائها في نصه الشهير ، أقامها في سنة (٥٤٢ م) ، ورتب لخدمتها جماعة من متنصرة سبأ ، واحتفل هو نفسه بافتتاحها ، ولعله استعان ببنائها بحجارة قصور مأرب ومعدها الكبير ، ذلك لأن حجارتها منحوتة نحتاً جيداً ، يجعل من السهل استعمالها في البناء على حين يتطلب الحجر الجديد وقتاً طويلاً وأموالاً باهظة . ولهذا السبب ذهب أهل الأخجار الى أنه أمر بنقل حجارة قصر مأرب الى صنعاء .



جدار معبد (أوم) (أوم) بمأرب ، وهو معبد اله سبأ
من كتاب (Qataban and Sheba)

لقد أصيب مشروع أبرهة الرامي الى هدم الكعبة والاستيلاء على مكة باخفاق ذريع ، يذكرنا بذلك الاخفاق الذي مُني به مشروع (أوليوس غالوس) . لقد كان في الواقع مشروعاً خطيراً ، لو تمّ إذن لاتصل ملك الروم بملك حلفائهم وأنصارهم الحبش في اليمن ، ولتحقق حلم الإسكندر الأكبر وأغسطس ومن فكر في الإستيلاء على هذا الجزء الخطير من العالم من بعدهما ، ولتغير الوضع السياسي في الجزيرة من غير شك . لكن حدث ما لم يكن في الحسبان ، حدث أن مكة التي أريد هدمها هي التي هدمت ملك الحبشة في اليمن ، وملك من جاء بعدهم لنجدة أهل اليمن ، وملك البيزنطيين في بلاد الشام وملك الفرس في العراق وفي

كل مكان^١ .

ويظهر من الرواية العربية أن نهاية (أبرهة) كانت بعد عودته من مكة بقليل إذ لازمه الوباء الذي نزل برجال حملته أثناء محاصرتهم لها ، ولم يتركه حتى بلغ صنعاء وهو مريض متعب ، فهلك بها عند وصوله^٢ . ويجب أن يكون ذلك سنة (٥٧٠) أو (٥٧١) للميلاد . أما المصادر اليونانية ، فلم تشر الى سنة وفاته .

ويذكر الأخباريون أن الذي حكم بعد (أبرهة) ، هو ابنه (يكسوم) . وبه كان أبرهة يكنى . فذلت حير وقبائل اليمن ووطنتهم الحبشة ، وعم أذاهم وقتلوا خلقاً من رجالهم ، وأخذوا نساءهم ، واتخذوا أبناءهم تراجمة بينهم وبين العرب^٣ . ويذكر (المسعودي) أن (يكسوم) كان سيء السيرة في أهل اليمن فعمّ أذاه سائر الناس ، الى أن هلك بعد عشرين سنة من الحكم^٤ .

وذكر (أبو حنيفة الدينوري) ، أن (النجاشي) أقر (أبرهة) على سلطان اليمن ، فمكث على ذلك أربعين عاماً^٥ . أما ابنه (يكسوم) ، فمكث على اليمن تسع عشرة سنة^٦ . وصيّر (حمزة) مدة حكم أبرهة ثلاثاً وعشرين سنة ، مذ قتل (أرياطاً) ، الذي حكم على زعمه عشرين سنة . وجعل حكم (يكسوم) سبع عشرة سنة ، وملك مسروق اثني عشرة سنة ، ومدة حكم الحبشة ، اثنتين وسبعين سنة^٧ .

ويرى (كلاسر) أن أبرهة كان قد عين ابنه (أكسوم) (يكسوم) على أرض (معاهر) (معهرن) ، وكانت له (ذي معاهر) ، فعرف (يكسوم) بـ (ذي معاهر) . وفي معاهر (عر وعلان) ، أي حصن وعلان^٨ .

١ Nöldeke, Geschichte der Perser, S. 188, Paullys — Wissowa,

Supplementband, VII, 1950, S. 75.

٢ الطبري (١٣٧/٢) (دار المعارف) .

٣ الطبري (١٣٩/٢) ، مروج (٨/٢ وما بعدها) (محيي الدين) ، المعارف (٢٧٨) .

٤ مروج (٨/٢ وما بعدها) (محيي الدين) .

٥ الاخبار الطوال (ص ٦٢) .

٦ المصدر نفسه (ص ٦٣) .

٧ حمزة (ص ٨٩) .

٨ Glaser, Mitt., S. 420, 461.

وانتقل الحكم من بعد هلاك (يكسوم) الى شقيقه (مسروق) . وهو من أم عربية هي (ریحانة ابنة علقمة بن مالك بن زيد بن كهلان) وهو (ذو جدن) . وكانت تحت (أبا مرة الفياض ذايزن) فانترعها منه أبرهة ، وأولدها مسروقاً . ففرّ (ذو يزن) من اليمن ، ولحق ببعض ملوك بني المنذر ، ويظن (الطبري) بأنه (عمرو بن هند) وأقام هناك^١ . وقد كان أسوأ سيرة من (يكسوم) ، ويذكر (المسعودي) أنه حكم ثلاث سنين^٢ . وقد قتل الفرس مسروقاً ، وذلك حين دخولهم اليمن ، وأخرجوا الحبشة عن اليمن^٣ .

وقد ذكر المؤرخ (ثيوفانس) ملكاً من ملوك حير قال ان الفرس أسروه ، وذلك في حوالي السنة (٥٧٠) للميلاد ، دعاه باسم (سنطرق) (سنطرقس) Sanaturces . وهو فيما يرى (كلاسر) تحريف (شناتر) ، والأصل (ذو شناتر) . و (شناتر) اسم موضع ، والمراد به (مسروق بن أبرهة) ، وكان والده قد عيّنّه على هذا الموضع فعرف به . وقد ذكر (ابن قتيبة) أن (ذا شناتر) ، هو الابن الثاني لأبرهة ، ولهذا يرى (كلاسر) أن Sanaturces هو (مسروق)^٤ .

وبهلاك (مسروق) هلك حكم الحبش لليمن . اذ أخرجوا بعد انتصار الفرس وأهل اليمن عليهم . ويذكر الطبري ، أن حكم الحبشة لليمن دام اثنتين وسبعين سنة ، توارث ذلك منهم أربعة ملوك : أرياط ، ثم أبرهة ، ثم يكسوم بن أبرهة ثم مسروق بن أبرهة^٥ .

وجاء في شعر للشاعر (ليبيد بن ربيعة العامري) انه دخل على ملك من ملوك الحبش ، اسمه (خير) ، أتاه فكلمه في فداء قوم ، فأجازه ، وأحسن اليه ، وحمله على خيل ، (ويذرقه)^٦ ، أي : أرسل معه من يحرسه ، وأجازه ، وأعطاه (طرساً) ، أي كتاباً ، كتبه له لأن يعطى ، وغلاماً أطلس اي حبشياً^٧ . ولم يذكر كيف

-
- ١ الطبري (١٤٢/٢)
 - ٢ مروج (٨/٢) (محيي الدين)
 - ٣ الطبري (١٣٩/٢)
 - ٤ Glaser, Zwei Inschriften, S. 486.
 - ٥ الطبري (١٣٩/٢)
 - ٦ بذرته : فارسي معرب) ، شرح ديوان ليبيد (ص ١٥٥)
 - ٧ (والاطلس : الحبشي) ، شرح ديوان ليبيد (ص ١٥٥)

وصل الى (خمير) ، ولا في اي مكان كان يحكم . وما علاقة ذلك الملك الحبشي بجزيرة العرب إن صح انه ملك الحبش حقاً ؟ وإذا أخذنا بقول هذا الشاعر وصدقناه ، فقد يكون ذهب ليتوسل الى الحبش لفك أسر جماعة من قومه أو من أصحابه قد يكونون ذهبوا للتجار أو لشراء الرقيق ، فقبض عليهم لسبب من الأسباب واحتجزوا ، فذهب لالتماسهم فنجح في وساطته وقد يكون (خمير) هذا احد الحكام أو الاقطاعيين ، لا النجاشي ملك الأحباش .

ويظهر من كتاب (الإشتقاق) أنه كان لأبرهة حفيد اسمه (ابن شمر) إذ ذكر مؤلفه (ابن دريد) اسم رجل سماه (ابن شمر بن أبرهة بن الصباح) ، قال : إنه قتل مع (علي بن أبي طالب) بصفين^١ . ومعنى هذا أنه كان لأبرهة ولد اسمه (شمر) . ونجد في كتب أهل الأخبار أسماء رجال كانوا من حفدة (أبرهة) .

وقد سعى الأحباش ، مدة مكنهم في اليمن ، في نشر النصرانية بين الناس ، وبناء الكنائس . ومحدثنا (قزما الرحالة) Cosmas Indicopleustes في نحو سنة (٥٣٥ م) ، اي بعد اندحار (ذي نواس) ، عن كثرة الكنائس في العربية السعيدة ، وعن كثرة الأساقفة والمبشرين الذين بشروا بين الحميريين والنبط وبني جرم^٢ . وقد اشتهرت كنيسة (نجران) ، وكذلك كنيسة صنعاء ، وكنيسة (ظفار) التي بناها الحبش ، وقد أشرف عليها الأسقف (جرجنسيوس) صاحب (كتاب شرائع الحميريين) ، وكان مقرباً لدى النجاشي ومستشاره ومساعدته في تنصير الحميريين^٣ .

وورد أن القيصر (يوسطين) (جستين) كان قد أرسل (كريكتيوس) Gregentius of Ulpana من الاسكندرية الى (ظفار) ليكون (أسقفاً) على نصاراها . وقد تناظر مع (حبر) من أحبار يهود فيها ، فغلبه . وقدّم قانون الشريعة الى (أبرام) (Abram) ملك حير^٤ .

- ١ الإشتقاق (٣٦١/٢) ، جمهرة أنساب العرب ، (لابن حزم) (٤٣٥) .
- ٢ النصرانية (٦٥/١) ، Migne, Patrolo. Gre., Vol., LXXX, Col., 169.
- ٣ النصرانية (٦٤/١) ، الاغانى (٧٥/٢) ، Migne, Patrolo. Gre., Vol., 86, col. 567-620.
- ٤ Bury, II, P. 327.

حملة أبرهة :

وفي أيام عبد المطلب كانت حملة أبرهة على مكة ، وهي حملة روعت قريشاً وأفرعتهم ، لما عرفوه من قساوة أبرهة ومن شدته في أهل اليمن ، ومن انفراده بالحكم ، واستبداده في الأمور، حتى انه لما مات وذهب مع الذاهين لم تمت ذكراه كما ماتت ذكرى غيره من الحكام ، بل تركت أثراً عميقاً في ذاكرة أهل اليمن، انتقل منهم الى أهل الأخبار ، فرووا عنه أفاصيص ، ونسجوا حوله نسيجاً من أساطير وخرافات ، على عاداتهم عند تحدثهم عن الشخصيات الجاهلية القوية التي تركت أثراً في أهل تلك الأيام ، حتى انهم لم يكتفوا بكل ما قالوه فيه ، وكأنه لم يكن كافياً ، فجعلوا منه جملة رجال سموهم (أبرهة) نصبوهم ملوكاً وتبابعة على مملكة سبأ وحبر .

والرأي الغالب بين الناس ان حملة أبرهة على مكة ، كانت قبل المبعث بزهاء أربعين سنة ، وميلاد الرسول كان في عام هذه الحملة ، وهو العام الذي عرف بـ (عام الفيل) . وهو يوافق سنة (٥٧٠) أو (٥٧١ م) . وإنما عرف بعام الفيل ، لأن الحبش كما يزعم أهل الأخبار جاءوا الى مكة ومعهم فيل سمّوه (محموداً) ، وقد جاءوا به من الحبشة . وفي بعض الروايات أن عدد الفيلة كان ثلاثة عشر فيلاً ، أو اثني عشر ، أو دون ذلك ، أو أكثر ، وأوصلوا العدد إلى ألف فيل . ولوجود الفيل أو الفيلة في الحملة ، عرفت بحملة الفيل ، وعبر عن الحبش في القرآن الكريم بـ (أصحاب الفيل)^١ .

وقد ذهب بعض الرواة الى أن عام الفيل إنما كان قبل مولد النبي بثلاث وعشرين سنة ، وذكر بعضهم أنه كان في السنة الثانية عشرة من ملك (هرمز ابن انوشروان) . ولما كان ابتداء حكم (هرمز بن أنوشروان) سنة (٥٧٩) فعام الفيل يكون في حوالى السنة (٥٨١) للميلاد لاستة (٥٧٠) أو (٥٧١) للميلاد

١ سورة الفيل ، الطبري (٢ / ١٣٠ وما بعدها) (دار المعارف) ، الكامل (٢ / ٢٦٠) ، تفسير ابن كثير (٤ / ٥٤٨ وما بعدها) ، مروج (٢ / ٧١) ، روق المعاني (٢٨ / ٢٣٣) ، الطبرسي ، مجمع (٣٠ / ١٩١) ، الأزرقى (١٠ / ٨٢ وما بعدها) ، البداية والنهاية ، لابن كثير (٢ / ١٧٠) ، تفسير الطبري (٣٠ / ١٦٦) ، (المطبعة الميمنية) ، دائرة المعارف الاسلامية (١ / ٦١ وما بعدها) ، ترجمة الشتاوي .

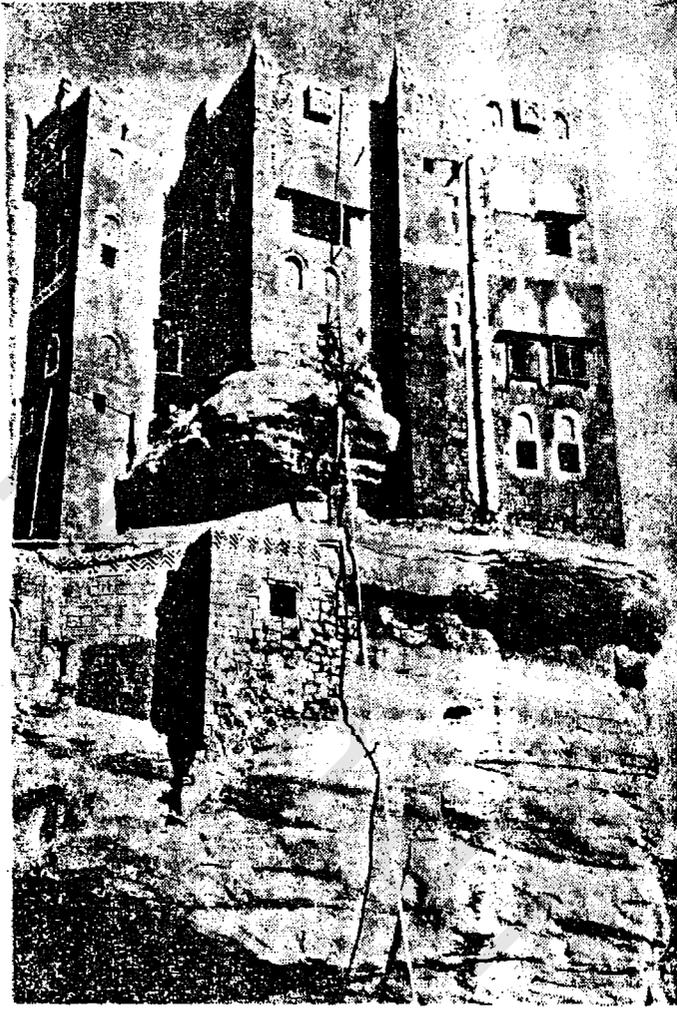
كما يذهب الأكثرون الى ذلك . وأما إذا اخذنا برواية من قال من الرواة وأهل الأخبار من أن عام الفيل قد كان لاثنتين واربعين سنة من ملك (انو شروان) ، فيكون هذا العام قد وقع في حوالى السنة (٥٧٣) للميلاد وهو رقم قريب من الرقم الذي ذهب اليه أكثر المستشرقين حين حوّلوا ما ذكره اهل الأخبار عن سنة ولادة الرسول الى التقويم الميلادي .

وقد ورد ذكر هذا الحادث في القرآن الكريم : « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل . ألم يجعل كيدهم في تضليل ، وارسل عليهم طيراً أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول »^٢ ؟ وقد خاطبت هذه الآيات الرسول بأن قريشاً سوف تخيب وتحل بها الهزيمة ، كما حلت بأصحاب الفيل ، واصحاب الفيل اعظم منهم قوة واشد بطشاً ، وهم لا شيء تجاههم ، وفيها تذكير لقريش بما حل بالحبيش ، وما كان عهد الحبيش عنهم بعيد .

وينسب الأخباريون حملة أبرهة على مكة الى تدنيس رجل من كنانة (القليس) التي بناها أبرهة في اليمن ، لتكون محجة للناس . فلما بلغ أبرهة خبر التدنيس كما يقولون ، عزم على السير الى مكة لهدم الكعبة ، فسار معه جيش كبير من الحبيش واهل اليمن ، وهو مصمم على دكها دكاً ، وصرف الناس عن الحج اليها الى الأبد . فلما وصل ، هلك معظم جيشه ، فاضطر الى العودة الى اليمن خائباً مدحوراً^٣ .

ويذكر اهل الأخبار ان الرجل الذي دنس القليس ، هو من النسأة أحد بني فقيم ، ثم احد بني مالك من كنانة . وقد غضب لما رآه من شأن تلك الكنيسة ، ومن عزم أبرهة على صرف حاج العرب اليها ، ومن مبالغته في الدعاية لها ، ففعل ما فعل^٤ .

-
- ١ تفسير القرطبي (١٩٤/٢٠) .
 - ٢ سورة الفيل ، الرقم ١٠٥ ، تفسير الطبري (١٩٣/٣٠) ، (بولاق) ، القرطبي (١٨٧/٢٠) وما بعدها .
 - ٣ الروض الانف (٤٠/١) وما بعدها ، تفسير القرطبي (١٨٨/٢٠) ، الازرقعي (٩٠/١) وما بعدها ، (خياط) .
 - ٤ الطسبري (١٣٠/٢) ، تاج العروس (١٤/٩) ، الكشف (٢٢٣/٤) ، تفسير الطبري (١٦٧/٣٠) ، تفسير النيسابوري (١٩٣/٣٠) ، (حاشية على تفسير الطبري) .



أحد القصور ، وهو يمثل الطراز اليمني في البناء
من كتاب : (Günther Pawelke) (JEMEN)

وقيل ان الرجل المذكور كان من النساك ، من نساك بني فقيم ، غاظه ما كان من عزم ابرهة على صرف العرب عن الحج اى مكة، فأحدث في القليس للحط من شأنها في نظر العرب ، ولطخ قبلتها بحدثه ، فشاع خبره بين الناس ، وهزىء القوم من (قُتَيْس) حدث به ما حدث. وغضب أبرهة من عمله المشين هذا الموجه اليه والى كل الخبش ، فعزم على هدم البيت الذي يقدهس ذلك الكنانى

ومن يحج إليه^١ .

وينسب أخباريون آخرون عزم (أبرهة) على ذلك الكعبة وهدمها إلى عامل آخر ، فهم يذكرون ان فتية من قريش دخلوا القليس فأججوا فيها ناراً ، وكان يوماً فيه ريح شديدة ، فاحترقت وسقطت إلى الأرض ، فغضب أبرهة ، وأقسم لينتقم من قريش بهدم معبدهم ، كما تسببوا في هدم معبده الذي باهى النجاشي به^٢ .

وذكر أن (أبرهة) بنى القليس بصنعاء ، وهي كنيسة لم يُرَ مثلها في زمانها بشيء من الأرض ، وكان نصرانياً ، ثم كتب إلى النجاشي : إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يُبنَ مثلها لملك كان قبلك ، ولست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب . فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي ، غضب رجل من النساء ، فخرج حتى أتى الكنيسة ، فأحدث فيها ، ثم خرج فلحق بأرضه ، فأخبر بذلك أبرهة ، فغضب عند ذلك ، وحلف ليسرن إلى البيت حتى يهدمه . وبعث رجلاً كان عنده إلى بني كنانة يدعوهم إلى حج تلك الكنيسة ، فقتلت بنو كنانة ذلك الرجل ، فزاد أبرهة ذلك غضباً وحقاً ، ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت ، ثم سار وخرج معه بالليل^٣ .

وذكر (السيوطي) سبباً آخر في قرار أبرهة غزو مكة ، زعم أن أبرهة الأشرم كان ملك اليمن ، وأن ابن ابنته أكسوم بن الصباح الحميري خرج حاجاً ، فلما انصرف من مكة ، نزل في كنيسة بنجران ، فعدا عليها ناس من أهل مكة ، فأخذوا ما فيها من الحلي وأخذوا قناع أكسوم ، فانصرف إلى جده مغضباً ، فبعث رجلاً من أصحابه يقال له (شهر بن معقود) على عشرين ألفاً من خولان

١ الكامل (٢٦٠/١ وما بعدها) ، تفسير البيضاوي (٢٦٩/٣٠) ، روح المعاني (٢٣٣/٣٠ وما بعدها) ، الكشاف (٢٨٨/٣) (بولاق) (٣٥٨/٣ وما بعدها) (١٩٤٨ م) .

٢ الكشاف (٢٣٣/٤) ، روح المعاني (٢٣٣/٢٨) ، تفسير الفخر الرازي (٩٦/٣١) ، تفسير ابن كثير (٥٤٩/٤) ، تفسير أبي السعود (٢٨٥/٥) ، تفسير النيسابوري (١٦٣/٣٠) ، وهو حاشية على تفسير الطبري (بولاق) ، التيجان في ملوك حمير ، لوهب بن منبه (ص ٣٠٣) ، حيدر آباد الدكن بالهند . تفسير الطبرسي ، مجمع (٥٣٩/١٠) ، (طهران) ، ابن هشام السيرة (٤٤/١ وما بعدها) ، روح المعاني ، للالوسي (٢٣٣/٣٠ وما بعدها) ، تفسير البيضاوي (٢٦٩/٣٠) .

٣ تفسير القرطبي (١٨٨/٢٠) ، تفسير الطبري (١٩٣/٣٠ وما بعدها) .

والأشعريين ، فساروا حتى نزلوا بأرض خثعم فتيمنت خثعم عن طريقهم . فلما دنا من الطائف خرج اليه ناس من بني خثعم ونصر وثقيف ، فقالوا : ما حاجتك الى طائفنا ، وإنما هي قرية صغيرة ؟ ولكننا ندلك على بيت بمكة يعبد فيه ، ثم له ملك العرب ، فعليك به ، ودعنا منك ، فأتاه حتى إذا بلغ المغمس ، وجد إبلاً لعبد المطلب مئة ناقة مقلدة ، فأنهبها بين أصحابه . فلما بلغ ذلك عبد المطلب جاءه ، وكان له صديق من أهل اليمن يقال له : ذو عمرو ، فسأله أن يردّ عليه ابله ، فقال : إني لا أطيق ذلك ، ولكن إن شئت أدخلتك على الملك . فقال عبد المطلب : افعل . فأدخله عليه ، فقال له : ان لي اليك حاجة . قال قضيت كل حاجة تطلبها ، ثم قصّ عليه قصة ابله التي انتهبها جيشه . فالتفت الى ذي عمرو ، ثم ضرب بإحدى يديه على الأخرى عجباً ، فقال : لو سأني كل شيء أحوزه ، أعطيته اياه ، ثم أمر بإرجاع ابله عليه . وأمر بالرحيل نحو مكة لهدمها . وتوجه ألف شهر وأصحاب الفيل ، وقد اجتمعوا ما اجتمعوا نحو مكة ، فلما بلغوها ، خرجت عليهم طير من البحر لها خراطيم كأنها البلس ، فرمتهم بحجارة مدرجة كالبنادق ، فشدختهم ، ونزل الهلاك بهم فانصرف شهر هارباً وحده ، ولكنه ما كاد يسير ، حتى تساقطت اعضاء جسده فهلك في طريقه الى اليمن وهم ينظرون اليه .

ويتفق خبر (السيوطي) هذا في جوهره وفي شكله مع الروايات الأخرى التي وصلت اليها عن حملة (أبرهة) ، ولا يختلف عنها الا في أمرين : في السبب الذي من أجله قرر أبرهة هدم الكعبة ، وفي الشخص الذي سار على مكة . اما السبب الذي اوردته السيوطي ، فهو غير معقول ، لسبب بسيط واضح ، هو ان ابن ابرهة ، وهو أكسوم بن الصباح الحميري ، هو رجل نصراني ، والنصارى لا تحج إلى مكة ، لأنها محجة الوثنيين ، وقد عزم جدّه ابرهة على صرف العرب من الحج إليها ، فكيف يحج إليها ابن ابنته ، وهو على دين جدّه ؟ واما ما زعمه من ان (شهر بن معقود) (مقصود) هو الذي سار على مكة لهدمها ، وذلك بأمر من ابرهة ، فإنه يخالف اجماع اهل الأخبار والمفسرين من ان ابرهة هو نفسه

١ السيوطي ، الدر المنثور في التفسير بالماثور (٦ / ٣٩٤) ، الاصبهاني ، دلائل النبوة (١٠٠ ربما بعدها) ، الكشاف (٣ / ٢٨٨) .

قاد تلك الحملة ، وانه هو الذي اخذ الفيل او الفيلة معه، وسار على رأس جيش كبير من الحبش ومن قبائل من اهل اليمن كانت تخضع له . ثم إن السيوطي يشير الى وجود (الملك) في الجيش ، ولم يكن شهر بن معقود ملكاً ولم يلقبه اهل الأخبار بلقب (ملك) ، وانما أنعموا بهذا اللقب على ابرهة وحده . أضف الى ذلك ان ما ذكره السيوطي من حوار وقع بين عبد المطلب وبين الملك هو حوار يذكر اهل الأخبار انه جرى بين عبد المطلب وبين ابرهة . لذلك ارى ان الأمر قد التبس على السيوطي، فخلط بين ابرهة وبين شهر احد قادته من العرب ، وانه قصد بالملك ابرهة لا القائد ، وإن لم يشر اليه ، بل جعل الفعل كل الفعل للقائد المذكور .

وأورد (القرطبي) رواية اخرى نسبها الى مقاتل بن سليمان وابن الكلبي ، خلاصتها : ان سبب الفيل هو ما روى أن فتية من قريش خرجوا تجاراً الى ارض النجاشي ، فنزلوا على ساحل البحر الى بيعة للنصارى ، تسميها النصارى : الهيكل ، فأوقدوا ناراً لطعامهم ، وتركوها وارتحلوا ، فهبت ريح عاصفة على النار فأضمرت البيعة ناراً واحترقت ، فأتي الصريخ الى النجاشي ، فأخبره ، فاستشاط غضباً ، فأناه ابرهة بن الصباح وحجر بن شرحبيل وابو يكسوم الكنديون وضمنوا له احراق الكعبة . وكان النجاشي هو الملك ، وابرهة صاحب الجيش ، وابو يكسوم نديم الملك ، وقيل وزيره ، وحجر بن شرحبيل من قواده . فساروا معهم الفيل ، وقيل ثمانية فيلة ، ونزلوا بذي المجاز ، واستاقوا سرح مكة^١ . وتتفق هذه الرواية مع الروايات السابقة من حيث الجوهر ، ولا تختلف عنها الا في جعل الكنيسة المحترقة بيعة في ارض النجاشي ، اي في ساحل الحبش ، لا في ارض اليمن ، والا في جعل الأمر بالحملة النجاشي ، لا ابرهة نفسه . أما المنفذون لها ، فهم ابرهة ومن معه .

وهناك سبب آخر سأعرض له فيما بعد ، يذكره أهل الأخبار في جملة الأسباب التي زعموا انها حملت ابرهة على السير نحو مكة لتهديمها . وهو سبب ارجحه وأقدمه على السببين المذكورين ، لما فيه من مساس بالسياسة ، ولأنه مشروع سياسي خطير من المشروعات العالمية القديمة التي وضعها اقدم ساسة العالم للسيطرة على

١ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (١٨٧/٢٠ ، ١٩٢ ، وما بعدها) .

الطرق الموصلة الى الميـاه الدافئة والى الأرضين المنتجة لأهم المواد المطلوبة في ذلك العهد .

وتذكر روايات اهل الأخبار ان أبرهة لما رتب كل شيء وجهز نفسه للسـير من اليمن نحو مكة ، خرج له رجل من اشراف اليمن وملوكهم ، يقال له : (ذو نفر) وعرض له فقاتله ، فهزم (ذو نفر) واصحابه ، واخذ له ذو نفر اسيراً . ثم مضى ابرهة على وجهه ذلك ، يريد ما خرج له ، حتى اذا كان بأرض خثعم ، عرض له (نفيل بن حبيب الخثعمي) في قبيلي خثعم : شهران وناهس ومن تبعه من قبائل العرب ، فقاتله فهزمه أبرهة ، وأخذ له نفيل اسيراً وخرج معه يداؤه على الطريق ، حتى إذا مرّ بالطائف ، خرج اليه (مسعود بن معتب) في رجال ثقيف ، فقال له : أيها الملك ، انما نحن عبيدك ، سامعون لك مطيعون ، ليس لك عندنا خلاف، وليس بيتنا هذا بالبيت الذي تريد - يعني اللات - انما تريد البيت الذي بمكة ، يعنون الكعبة ، ونحن نبعث معك من يدلتك ، فتجاوز عنهم ، وبعثوا معه أبا رغال ، فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله المغمس ، فهلك أبو رغال به . فرجمت العرب قبره،فهو القبر الذي يرحم الناس بالمغمس^١ .

وكان نفيل بن حبيب الخثعمي من سادات خثعم ، ولما أخذه أبرهة اسيراً واحتبسه عنده ، جعله دليـله إلى مكة ، وهو الذي أوصله إلى الطائف ، حيث تسلّم أبرهة الدليل الآخر من ثقيف ، وهو أبو رغال^٢ . وذكر بعضهم أن (نفيل ابن حبيب) كان دليل أبرهة على الكعبة ، وأنه عرف بـ (ذي الـيدين)^٣ .

ولأهل الأخبار قصص عن (أبي رغال) ، صيرته أسطورة ، حتى صيرته بعضهم من رجال ثمود ومن رجال (صالح) النبي . فزعموا ان النبي كان قد وجهه على صدقات الأموال ، فخالف أمره ، وأساء السيرة ، فوثب عليه (ثقيف) وهو قسي بن منبه ، فقتله قتلة شنيعة . وهو خير وضعه أناس من ثقيف ولا

- ١ الطبري (١٣١/٢ وما بعدها) ، تفسير الطبري (١٦٧/٣٠) ، (١٩٤/٣٠) (بولاق) ، تفسير القرطبي (١٨٨/٢٠) .
- ٢ الاشتقاق (٣٠٦) ، تفسير الطبري (١٩٤/٣٠) (بولاق) .
- ٣ وأرجم قبره في كل عام كرجم الناس قبر أبي رغال نوادر المخطوطات (القاب الشعراء) (ص ٣٢٧) .

شك ، للدفاع عن أنفسهم ، إذ اتهموا بأن (أبا رغال) منهم ، وقد جاءوا بشعر ، زعموا أن (أمية بن أبي الصلت) قاله في حقه ، منه :

وهم قتلوا الرئيس أبا رغال بمكة إذ يسوق بها الوضيئنا^١

فصيتروا القاتل جدّ ثقيف ، ونسبوا له فضل مساعدة نبي من أنبياء الله .

وقد أشار (جرير بن الحطفي) في شعر قاله في الفرزدق إلى رجم الناس قبر أبي رغال ، إذ قال :

إذا مات الفرزدق فارجموه كرجمكم لقبر أبي رغال^٢

وذكر (المسعودي) ، أن العرب ترجم قبراً آخر ، يعرف بينهم بقبر العبادي في طريق العراق إلى مكة . بين الثعلبية والهبير نحو البطان . ولم يذكر شيئاً عن سببه ، إذ أحال القارئ على مؤلفاته الأخرى^٣ .

وذكر (الهمداني) ان قبر أبي رغال عند (الزيمة) . و (الزيمة) موضع معروف حتى هذا اليوم^٤ .

ولما نزل أبرهة المغمس ، بعث رجلاً من الحبشة يقال له الأسود بن مقصود على خيل له ، حتى انتهى إلى مكة : فساق إليه أموال أهل مكة من قريش وغيرهم ، وأصاب منها مئتي بعير لعبد المطلب بن هاشم ، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها ، فهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بالحرم من سائر الناس بقتاله ، ثم عرفوا انه لا طاقة لهم به . فتركوا ذلك . ثم قرروا على أن يرسلوا سيدهم (عبد المطلب) لمواجهة أبرهة والتحدث إليه ، فذهب وقابله ، وتذكر رواية أهل الأخبار ان أبرهة لما سأله عن حاجته وعمّا معه من أبناء ، قال له : حاجتي إلى الملك أن يردّ علي مئتي بعير أصابها لي ، فعجب أبرهة من هذا القول وقال له : أتكلمني في مئتي بعير قد أصبتها لك وتركت بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه ؟ قال له عبد المطلب : إني أنا رب الابل ، وان

١ مروج (٥٣/٢) .

٢ إذا مات الفرزدق فارجموه كما ترمون قبر أبي رغال

٣ مروج (٥٣/٢) ، (دار الاندلس) ، البداية (١٧٠/٢) وما بعدها .

٤ مروج (٥٤/٢) .

٥ الاكليل (٣٧٣/١) .

للبيت رباً سيمنعه^١ .

وتذكر هذه الرواية أن أبرهة ردّ على عبد المطلب ابله ، فرجع الى قومه ، وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في شعف الجبال والشعاب تخوفاً عليهم من معرفة الجيش . فلما وصل جيش الحبش ، لم يجد أحداً بمكة، وتفشى الوباء فيه ، واضطر الى التراجع بسرعة . فلما وصل أبرهة الى اليمن ، هلك فيها بعد مدة قليلة من هذا الحادث^٢ .

ويذكر (الطبري) ان الأسود بن مقصود لما ساق أموال اهل مكة من قريش وغيرهم ، وفي ضمنها ابل عبد المطلب ، وأوصلها الى أبرهة ، وأن قريشاً وكنانة وهذيل ومن كان معهم بالحرم من سائر الناس عزمت على ترك القتال ، إذ تأكدوا أنهم لا طاقة لهم به . بعث أبرهة (حنطة الحميري) إلى مكة ، وقال له : سل عن سيد هذا البلد وشريفهم ، ثم قل له إن الملك يقول لكم : إني لم آتٍ لحربكم ، إنما جئت لهدم البيت ، فإن لم تعرضوا دونه بحرب ، فلا حاجة لي بدمائكم ، فإن لم يُرد حربي فائتني به ، فلما دخل حنطة مكة ، سأل عن سيد قريش وشريفها ، فقيل له : عبد المطلب ، فقال له ما أمره به أبرهة ، فقال له عبد المطلب : والله ما نريد حربه ، وما لنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله الحرام ، وبيت خليله إبراهيم ، فإن يمنعه فهو بيته وحرمه ، وإن ينحل بينه وبينه ، فوالله ما عندنا له من دافع عنه . ثم انطلق معه الى أبرهة . فلما وصل المعسكر ، سأل عن (ذي نقر) ، وكان له صديقاً ، فدلّ عليه ، فجاءه وهو في محبسه ، فكلمه ، ثم توصل بوساطته إلى سائق فيل أبرهة وهو أنيس ، وأوصاه خيراً بعبد المطلب ، وكلمه في إيصاله الى أبرهة ، وان يتكلم فيه عند أبرهة بخير . ونفذ انيس طلب (ذو نقر) ، وأدخله عليه ، فكان ما كان من حديث^٣ .

وذكر الطبري : أن بعض اهل الأخبار زعموا ان نفراً من سادات قريش رافقوا عبد المطلب في ذهابه مع حنطة الى أبرهة ، ذكروا منهم : يعمر (عمرو)

-
- ١ الطبري (١٣٢/٢ وما بعدها) (دار المعارف) ، ابن الاثير (١/٣٢١) ، تفسير القرطبي (١٨٩/٢٠) .
 - ٢ الطبري (١٣٧/٢ وما بعدها) .
 - ٣ تفسير الطبري (١٩٤/٣٠ وما بعدها) (بولاق) ، تفسير القرطبي (١٨٩/٢٠ وما بعدها) .

ابن نفاثة بن عديّ بن الدثثل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة ، وهو يومئذ سيد بني كنانة ، وخويلد بن وائلة الهذلي ، وهو يومئذ سيد هذيل ، فعرضوا على أبرهة ثلث اموال اهل تهامة على ان يرجع عنهم ، ولا يهدم البيت ، فأبى عليهم .

ويذكر أهل الأخبار ان جيوش (ابرهة) حين دنت من مكة ، توسل عبد المطلب الى ربه وناجاه بأن ينصر بيته ويسدل (آل الصليب) وأنه أخذ بحلقه باب الكعبة وقال :

يا ربّ لا أرجو لهم سواكا يا ربّ فامنع منهم حياكا
إن عدوّ البيت من عاداكا امنعهم أن يخربوا قراكا

وقال :

لاهُمَّ إن العبد يمنع رحله فامنع رحالك
لا يغلبن صليهم ومحالم عدوّ محالك
وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك^٢

وقد بلغ أبرهة مكة ، غير انه لم يتمكن من دكتها ومن هدمها ، وخاب ظنه ، إذ نفشى المرض بجيشه وفتك الوباء به ، فهلك أكثره ، واضطر الى الإسراع في العودة ، وكان عسكره يتساقطون موتى على الطريق ، وهم في عودتهم الى اليمن . وذكرت بعض الروايات ان أبرهة نفسه أصيب بهذا المرض . ولم يبلغ صنعاء الا بعد جهد جهيد . فلما بلغها ، مات إثر وصوله اليها^٣ .
وعلى هذه الصورة أنهى أهل الأخبار أخبار حملة ابرهة ، فقالوا انها انتهت

- ١ تفسير الطبري (١٩٥/٣٠) ، الطبري (١٣٤/٢) (دار المعارف) ، تفسير القرطبي (١٩٠/٢٠) .
- ٢ السيرة الحلبية (٢٤/١ وما بعدها) ، يزد البيت الثاني بشكل آخر في كتاب أخبار مكة للأزرقي (٢٨٣/١) ، تفسير الطبري (١٩٥/٣٠ وما بعدها) (بولاق) .
- ٣ تفسير الطبري (١٩٥/٣٠ وما بعدها) (بولاق) ، تفسير البنيضاوي (٢٦٩/١) ، مروج (٤٦/٢) ، روح المعاني (٢٣٣/٣٠) ، تفسير القرطبي ، (١٨٧/٢٠) ، تفسير الخطيب الشربيني ، السراج المنير في الاعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (٥٦٣/٤) ، تفسير الرازي (٩٦/٣١) ، البداية والنهاية (١٦٩/٢) ، ابن هشام (٢٨/١) ، الكامل (٢٥٤/١) ، الطبرسي (١٩١/٢٥) حمزة (٩٤،٨٩) .

باخفاق ذريع ، انتهت باصابة ابرهة بوباء خطير ، وبإصابة عسكره بذلك المرض نفسه : مرض جلدي ، أصاب جلود أكثر جيشه ، فزقها ، وأصابها بقروح وقبوح في الأيدي خاصة ، وفي الأفضاخ ، أو بمرض وبائي هو الحصبة والجُدري ، فيذكر أهل الأخبار في تفسير سورة الفيل ، وفي أثناء تحدثهم عن هذه الحملة وبعد شرحهم لمعنى (طير أبابيل) : مباشرة ، هذين المرضين ويقولون : « ان أول ما رثت الحصبة والجُدري بأرض العرب ذلك العام »^١ . وتفسير ذلك بعبارة أخرى ان ما اصاب الحبش ، هو وباء من تلك الأوبئة التي كانت تكسح البشرية فيما مضى ، فلا تذهب حتى تكون قد أكلت آلافاً من الرؤوس .

وكان لرجوع الأحباش الى اليمن وهم على هذه الصورة من مرض يفتك بهم ، وتعب ألمّ بهم ، أثر كبير أثر فيهم وفي قريش ، ثم ما لبث ابرهة ان مات بعد مدة غير طويلة ، فازداد اعتقاد قريش بـ (رب البيت) وبأصنامها ، وهابت العرب مكة ، فكانت نكسة الحبش نصراً لقريش ولأهل مكة قوتى من معنوياتها . ويتجلى ذلك في القرآن الكريم في سورة الفيل ، وهي من السور المكّية القديمة : (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم في تضليل ، وأرسل عليهم طيراً أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول)^٢ .

وقصة تدنيس (القليس) ، قد تكون حقيقية وقعت وحدثت ، وقد تكون أسطورة حيكت ووضعت ، على كل حال ، وفي كلتا الحالتين لا يعقل أن تكون هي السبب المباشر الذي دفع النجاشي إلى السير الى مكة لهدم البيت ونقضه من أساسه ورفع أحجاره حجراً حجراً ، على نحو ما يزعمه أهل الأخبار بل يجب أن يكون السبب أهم من التدنيس وأعظم ، وأن يكون فتح مكة بموجب خطة تسمو على فكرة تهديم البيت وتخريبه ، خطة ترمي الى ربط اليمن ببلاد الشام ، لجعل العربية الغربية والعربية الجنوبية تحت حكم النصرانية ، وبذلك يستفيد الروم والحبش

١ تفسير الطبري (١٩٦/٣٠) (بولاق) ، (وهو أول جدري ظهر في الارض) ، تفسير النيسابوري (١٦٥/٣٠) ، (حاشية على تفسير الطبري) ، (أول ما رثت الحصبة والجُدري بأرض العرب ذلك العام ، وأول ما دعى من مرايسر الشجز : الحرمل والحنظل والعشر ، ذلك العام) ، (الأزرقى (٩٧/١) وما بعدها) ، (خياط) .

٢ السورة رقم ١٠٥ .

وهم نصارى ، وان اختلفوا مذهباً ، ويحققون لهم بذلك نصراً سياسياً واقتصادياً كبيراً ، فيتخلص الروم بذلك من الخضوع للأسعار العالية التي كان يفرضها الساسانيون على السلع التجارية النادرة المطلوبة التي احتكروا بيعها لمرورها ببلادهم ، إذ سترد اليهم من سيلان والهند رأساً عن طريق بلاد العرب ، فتتخفف الأسعار ويكون في امكان السفن البيزنطية السير بأمان في البحار العربية حتى سيلان والهند وما وراءهما من بحار .

وآية ذلك خبرٌ يرويهِ أهل الأخبار يقولون فيه إن (أبرهة) توجَّح (محمد ابن خزاعي بن خزابة الذكواني) ، ثم السلمي ، وكان قد جاءه في نفس من قومه ، مع أخ له ، يقال له (قيس بن خزاعي) ، يلتمسون فضله ، وأمره على مضر ، وأمره أن يسير في الناس ، فيدعوهم في جملة ما يدعوهم اليه الى حج (القليس) ، فسار محمد بن خزاعي ، حتى اذا نزل ببعض أرض بني كنانة ، وقد بلغ أهل تهامة أمره ، وما جاء له ، بعثوا اليه رجلاً من هذيل ، يقال له عروة بن حياض الملاصي فرماه بسهم فقتله . وكان مع محمد بن خزاعي أخوه قيس ، فهرب حين قتل أخوه ، فلحق بأبرهة ، فأخبره بقتله ، فغضب وحلف ليغزون بني كنانة وليهدم البيت .

فقتل (محمد بن خزاعي) ، هو الذي هاج أبرهة وحمله على ركوب ذلك المركب الخشن . ولم يكن هياجه هذا بالطبع بسبب أن القتل كان صاحبه وصديقه بل لأن من قتله عاكس رأيه وخالف سياسته ومراميه التوسعية القاضية بفرض ارادته واردة الحبش وحلفائهم على أهل مكة وبقية كنانة ومضر ، وبتعيين ملك أو أمير عليهم ، هو الشخص المقتول ، فقتلوه . ومثل هذا الحادث يؤثر في السياسة وفي الساسة ، ويدفع إلى اتخاذ اجراءات قاسية شديدة ، مثل ارسال جيش للقضاء على المتجاسرين حتى لا يتجاسر غيرهم ، فتفلت من السياسي الأمور .

ومن يدري ؟ فلعل الروم كانوا هم المحرضين لأبرهة على فتح مكة وغير مكة حتى تكون العربية الغربية كلها تحت سلطان النصرانية ، فتتحقق لهم مآربهم في طرد سلطان الفرس من بلاد العرب . وقد حاولوا مراراً اقناع الحبش بتنفيذ

١ الطبري (١٣١/٢) ، تفسير الطبري (١٩٤/٣٠) ، (بولاق) ، الازرقسي (٨٦/١ وما بعدها) .

هذه الخطة والاشترك في محاربة الفرس ، وهم الذين حرضوا الحبشة وساعدوهم بسفنههم وبمساعداً مادية أخرى في فتح اليمن . وهم الذين أرسلوا رسولاً اسمه (جوليانوس) Julianus ، وذلك في أيام القيصر (يوسطنيان) Justinian لاقتناع النجاشي Hellestheaeus و (السميع أشوع) Esimiphaeus بالتحالف مع الروم ، وتكوين جبهة واحدة ضد الفرس والاشترك مع الروم في اعلان الحرب على الفرس بسبب الرابطة التي تجمع بينهم ، وهي رابطة الدين^١ . وكان في جملة ما رجاه القيصر من (السميع أشوع) ، هو أن يوافق على تنصيب (قيس) Casius رئيساً على (Maddeni) معداً^٢ .

وقد ذكر (المُسكَّرِي) ، أن (محمد بن خزاعي بن علقمة بن محارب ابن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان السلمي) كان في جيش أبرهة مع الفيل ، أي انه لم يقتل كما جاء في الرواية السابقة^٣ .

وقد ورد في بعض الأخبار أن عائشة أدركت قائد الفيل وسائسه ، وكانا أعميين مقعدين يستطيعان . وقد رأتهما^٤ .

وقد كان من أشرف مكة في هذا العهد غير عبد المطلب ، المطعم بن عدي ، وعمرو بن عائد بن عمران بن مخزوم ، ومسعود بن عمرو الثقفي ، وقد صعدا على حِراء ينظرون ما سيفعل أبرهة بمكة^٥ .

وذكر بعض أهل الأخبار ، أن فلاناً من الحبش من جيش أبرهة وعفاه وبعض من ضمه العسكر ، أقاموا بمكة ، فكانوا يعملون ويرعون لأهل مكة^٦ . وليس في كتب أهل الأخبار أسماء القبائل العربية التي جاءت مع (أبرهة) للاستيلاء على مكة بتفصيل . وكل ما نعرفه انه كان قد ضم الى جيشه قوات عربية قد يكون بينها قوم من كندة ، وقد أشير الى اشترك خولان والأشعريين فيها ، وذكر أن (حنِدفاً) كانوا ممن اشترك في جيش أبرهة ، وكذلك (حميس بن أد)^٧ .

Procopius, I, XIX, 8-16, P. 180, Glaser, Mitt., S. 437. ١

Procopius, I, XX, 9-12, P. 193. ٢

المخبر (١٣٠) . ٣

الكشاف (٢٢٣/٤) . ٤

تفسير ابن كثير (٥٤٨/٤) وما بعدها) . ٥

الأزرقى (٩٧/١) ، وما بعدها) ، (خياط) . ٦

Le Muséon, 1965, 3-4, P. 433. ٧

وقد اشير الى أبرهة الأشرم والى الفيل في شعر شعراء جاهليين ومخضرمين
 واسلاميين . وقد ورد في شعر (عبدالله بن الزبيرى) أنه كان مع (أمير الحبش)
 ستون ألف مقاتل^١ . وورد في شعر (امية بن ابي الصلت) ان الفيل ظل يحبو
 بـ (المغمس) ولم يتحرك ، وحوله من ملوك كندة أبطال ملاويث في الحروب
 صقور^٢ . ومعنى هذا أن سادات كندة كانوا مع الحبش في زحفهم على مكة .
 وذكر (عبدالله بن قيس الرقيّات) : ان (الأشرم) جاء بالفيل يريد
 الكيد للكعبة ، فولى جيشه مهزوماً ، فأمطرتهم الطير بالجندل ، حتى صاروا
 وكأنهم مرجومون يمطرون بحصى الرجم^٣ .

وذكر ان (عمر بن الخطاب) كان في جملة من ذكر (أبا يكسوم أبرهة)
 في شعره ، واتخذة مثلاً على من يحاول التناول على بيت الله وعلى (آل الله)
 سكان مكة . وذكر أهل الأخبار أنه قال ذلك الشعر في هجاء (زنباع بن روح
 ابن سلامة بن حداد بن حديدة) وكان عشراً ، أساء الى (عمر بن الخطاب)
 وكان قد خرج في الجاهلية تاجراً وذلك في اجتيازه واخذ مكسه ، فهجاه عمر ،
 فبلغ ذلك الهجاء (زنباعاً) ، فجهز جيشاً لغزو مكة . فقال عمر شعراً آخر
 يتحدها فيه بأن ينفذ تهديده ان كان صادقاً ، لأن من يريد البيت بسوء يكون
 مصيره مصير أبرهة الأشرم، وقد كف زنباع عن تنفيذ ما عزم عليه ولم يقم به^٤ .

لقد تركت حملة (الفيل) أثراً كبيراً في أهل مكة ، حتى اعتبرت مبدأ تقويم
 عندهم، فصار أهل مكة يؤرخون بعام الفيل (في كتبهم وديونهم من سنة الفيل).
 فلم تزل قريش والعرب بمكة جميعاً تؤرخ بعام الفيل ، ثم أرخت بعام الفجار ،
 ثم أرخت بينان الكعبة^٥ .

لقد كان لأهل مكة صلوات باليمن متينة ، إذ كانت لهم تجارة معها، تقصدها
 قوافلها في كل وقت ، وخاصة في موسم الشتاء ، حيث تجهز قريش قافلة كبيرة
 يساهم فيها أكثرهم ، واليها اشير في القرآن الكريم في سورة قريش : « لإيلاف

- ١ بلوغ الأرب (٢٥٨/١) ، روح المعاني (٢٢٣/٢٨) .
- ٢ بلوغ الأرب (٢٦٠/١) .
- ٣ بلوغ الأرب (٢٦٠/١) .
- ٤ بلوغ الأرب (٢٦١/١) وما بعدها ، الاشتقاق (٢٢٥) .
- ٥ الأزرقى (١٠٢/١) .

قريش . ايلافهم رحلة الشتاء والصيف ^١ . ولهذا فقد كان من سياستهم مداراة حكام اليمن وارضائهم ، ومنع من قد يعتدي منهم على أحد من أهل اليمن أو الحبش ممن قد يقصد مكة للتجارة أو للاستراحة بها في أثناء سيره الى بلاد الشام ، خوفاً من منع تجارهم من دخول أسواق اليمن . فلما وثب أحدهم على تجار من اليمن كانوا قد دخلوا مكة ، وانتهبوا ما كان معهم ، مضت عدلة من وجوه قريش الى (أبي يكسوم) ، أي أبرهة وصالحوه أن لا يقطع تجار أهل مكة عنهم . وضماناً لوفائهم بما انفقوا عليه وضعوا (الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار) وغيره رهينة ، فكان (أبرهة) يكرمهم ويصلهم ، وكانوا يبضعون البضائع الى مكة لأنفسهم ^٢ .

وقد وضع أهل الطائف رهائن عند أبي يكسوم كذلك ، ضماناً لحسن معاملتهم للحبش ولن قد يقصد الطائف للتجارة من الحبش أو من أهل اليمن ^٣ .

طرد الحبشة :

لقد عجل الحبش في نهايتهم في اليمن ، وعملوا بأيديهم في هدم ما أقاموه بأنفسهم من حكومة ، باعتدائهم على أعراض الناس وأموالهم ، وأخذهم عنوة كل ما كانوا يجدونه أمامهم ، حتى ضج أهل اليمن وضجروا ، فهبوا يريدون تغيير الحال ، وطرد الحبشة عن أرضهم ، وإن أدى الأمر بهم الى تبديلهم بأناس أعاجم أيضاً مثل الروم أو الفرس ، اذا عجزوا هم عن طردهم ، فلعل من الحكام الجدد من قد يكون أهون شراً من الحبش ، وان كان كلاهما شراً ، ولكن اذا كان لا بد من أحد الشرين فإن أهونها هو الخيار ولا شك .

وهبّ اليمانيون على الحبش ، وثار عليهم ساداتهم في مواضع متعددة غير أن ثوراتهم لم تفسدهم شيئاً ، اذ أخذت ، وقتل القائمون بها . ومن أهم اسباب إخفاقها أنها لم تكن ثورة عارمة عامة مادتها كل الجماهير والسادات ، بل كانت ثورات سادات ، مادة كل ثورة مؤججها ومن وراءه من تبع . هنا ثورة وهناك

١ الآية الأولى وما بعدها .

٢ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 432.

٣ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 431.

ثورة ، ولم تكن بقيادة واحدة ، أو بإمرة قائد خبير أو قادة متكاتفين خبراء بأمر الحرب والقتال ، فصار من السهل على الحبش ، الانقضاض عليها واخادها ، أضف الى ذلك انها لم تؤقت بصورة تجعلها ثورات جماعية ، وكأنها نيران تلتهب في وقت واحد ، يعسر على محمد بن النيران اخادها ، او اخادها على الأقل بسهولة . ولتحاسد الأقيال وتنافسهم على السيادة والزعامة نصيب كبير في هذا الإخفاق ، لذلك وجه بعض السادة أنظارهم نحو الخارج في أمل الحصول على معونة عسكرية أجنبية خارجية ، تأتيهم من وراء الحدود ، لتكره الحبش على ترك اليمن . وكان صاحب هذا الرأي والمفكر فيه (سيف بن ذي يزن) ، من أبناء الأذواء ومن أسرة شهيرة . وقد نجح في مشروعه ، فاكسب صفة البطولة وانتشر اسمه بين الهانين ، حتى صير أسطورة من الأساطير ، وصارت حياته قصة من القصص أمثال قصة أبي زيد الهلالي وعنتر وغيرهما ممن تحولوا الى أبطال تقص حياتهم على الناس في المجالس وفي المقاهي وحفلات السمر والترفيه ، أو تقرأ للتسلية واللهو .

و (سيف بن ذي يزن) ، هو (معد يكرب بن ابي مرة) ، وقد عرف ابوه ايضاً بـ (ابي مرة الفياض) ، وكان من أشرف حمير ، ومن الأذواء . وأمه (ربحانة ابنة علقمة) ، وهي من نسل (ذي جدن) على نحو ما ذكرت . يقال إن أبرهة لما انتزع ربحانة من بعلها (ابي مرة) ، فرّ زوجها الى العراق فالتجأ الى ملك الحيرة (عمرو بن هند) على ما يظن ، وبقي (معد يكرب) مع امه في بيت (أبرهة) على ذلك مدة ، حتى وقع شجار بينه وبين شقيقه من امه (مسروق) الذي ولي الملك بعد موت اخيه (يكسوم) فأثر ذلك في نفسه وحقد على (مسروق) ، فلما مات يكسوم ، خرج من اليمن ، حتى قدم على قيصر ملك الروم ، فشكا ما هم فيه ، وطلب اليه ان يخرجهم عنه ، ويليهم هو ويبعث اليهم من يشاء من الروم ، فيكون له ملك اليمن ، فلم يشكه ولم يجسد عنده شيئاً مما يريد ، فخرج حتى قدم الحيرة على النعمان بن المنذر ، فأسكنه عنده ثم اوصله بكسرى ، وحدثه في شأنه وفي خاطره في قومه ، فأمدّه بثماني مئة محارب ، وبـ (وهرز) أمره عليهم ، وبثماني سفن جعل في كل سفينة مئة

١ الطبري (٢ / ١٣٠ ، ١٤٣) ، (معد يكرب بن سيف) ، مروج (٢ / ٥٥) ،
دار الاندلس) .

رجل وما يصلحهم في البحر ، فخرجوا ، حتى اذا لجوا في البحر غرقت من السفن سفينتان بما فيها ، فخلص الى ساحل اليمن من ارض عدن ست سفائن فيهن ستمئة رجل فيهم وهرز وسيف بن ذي يزن ، نزلوا ارض اليمن ، فلما سمع بهم مسروق بن أبرهة ، جمع اليه جنده من الحبشة ، ثم سار اليهم ، فلما التقوا رمى (وهرز) مسروقاً بسهم ، فقتله ، وانهمزت الحبشة ، فقتلوا ، وهرب شريدهم ، ودخل (وهرز) مدينة صنعاء ، وملك اليمن ونفى عنها الحبشة ، وكتب بذلك الى كسرى . فكتب اليه كسرى يأمره ان يملك سيف بن ذي يزن على اليمن وارضها وان يرجع وهرز الى بلاده ، فرجع اليها . ورضي سيف بدفع جزية وخرج يؤديه في كل عام .

وذكر (الطبري) في رواية له اخرى عن (سيف بن ذي يزن) وعن مساعدة الفرس له ، فقال : « فخرج ابن ذي يزن قاصداً الى ملك الروم ، وتجنب كسرى لابطائه عن نصر ابيه ، فلم يجد عند ملك الروم ما يجب ، ووجده يحامي عن الحبشة لموافقتهم اياه على الدين ، فانكفاً راجعاً الى كسرى ^٢ . فقابله وحيآه وقال لكسرى : « انا ابن الشيخ الياني ذي يزن ، الذي وعدته ان تنصره فا يبابك وحضرتك ، فتلك العدة حق لي وميراث يجب عليك الخروج لي منه . فرق له كسرى ، وامر له بمال . فخرج ، فجعل ينشر الدراهم ، فانتهبها الناس . فأرسل اليه كسرى : ما الذي حملك على ما صنعت : قال : لاني لم آتكم للمال ، انما جئتكم للرجال ، ولتمنعي من اللذ ، فأعجب ذلك كسرى ، فبعث اليه : ان أقم حتى انظر في امرك . ثم إن كسرى استشار وزراءه في توجيه الجند معه ، فقال له الموبدان : إن لهذا الغلام حقاً بتزوجه وموت ابيه بباب الملك وحضرته ، وما تقدم من عدته اياه ، وفي سجون الملك رجال ذوو نبلدة وبأس ، فلو ان الملك وجههم معه ، فإن أصابوا ظفراً كان له ، وان هلكوا كان قد استراح وأراح اهل مملكته منهم ، ولم يكن ذلك يبعيد الصواب . قال كسرى : هذا الرأي . وعمل به ^٣ .

- ١ الطبري (١٣٦/٢) (دار المعارف) ابن خلدون (٢/٦٣) ، المعارف (٢٧٨) ،
- ٢ الاخبار الطوال (ص ٦٣ وما بعدها) ، مروج (٢/٥٥) ، (دار الاندلس) .
- ٣ الطبري (٢/١٤٤) ، (دار المعارف) .
- ٣ الطبري (٢/١٤٤) ، (دار المعارف) .

ويظهر من هذه الرواية ، ان (ابا مرّة) ، والد (معديكرب) ، كان قد فرّ من اليمن الى العراق ، وقد حاول عبثاً حث كسرى على تقديم العون العسكري له لطرده ابرهة وقومه الحبش عن اليمن ، وبقي يسعى ويحاول حتى مات بالعراق ، مات بالمدائن على حد زعم هذه الرواية . ويظهر منها أيضاً ، ان سيف بن ذي يزن ، أي ولد ابني مرّة ، كان قد أيس هو من كسرى بعد ان رأى ما رأى من موقفه مع ابيه ، فذهب أولاً الى ملك الروم ، على أمل مساعدته ومعاونته في طرد الحبش عن بلاده ، حتى وان أدى الأمر الى استيلاء الروم على اليمن ، فلما خاب ظنه ذهب الى الفرس ، فساعده .

ويذكر (الطبري) أن وهرز لما انصرف الى كسرى ، ملّك سيفاً على اليمن ، ف « عدا على الحبشة فجعل يقتلها ويقرر النساء عما في بطونها ، حتى اذا أنفأها الا بقايا ذليلة قليلة ، فاتخذهم خرولاً » ، واتخذ منهم جمّازين يسعون بين يديه بحرابهم ، حتى اذا كان في وسط منهم وجأوه بالحراب حتى قتلوه ، ووئب بهم رجل من الحبشة ، فقتل باليمن وأوعث ، فأفسد ، فلما باغ ذلك كسرى بعث اليهم (وهرز) في أربعة آلاف من الفرس ، وأمره الا يترك باليمن أسود ولا ولد عربية من اسود الا قتله ، صغيراً كان او كبيراً. فأقبل وهرز ، حتى دخل اليمن ففعل ذلك . ثم كتب الى كسرى بذلك ، فأمره كسرى عليها . فكان عليها ، وكان يجيها الى كسرى حتى هلك^١ .

لقد كان استيلاء الحبشة على اليمن بأسرها سنة (٥٢٥) للميلاد . أما القضاء على حكمهم فكان قريباً من سنة (٥٧٥) للميلاد^٢ . ولكن الحبش كانوا في اليمن قبل هذا العهد ، اذ كانوا احتلوا بعض الأرضين قبل السنة (٥٢٥) للميلاد ، وكانوا يحكمونها باسم ملك الحبشة .

وجاء في تأريخ الطبري وفي موارد اخرى ان حكم الحبش لليمن دام اثنتين وسبعين سنة ، توارث ذلك منهم اربعة : أرياط ، ثم أبرهة ، ثم يكسوم بن ابرهة ، ثم مسروق ابن ابرهة^٣ . وهو رقم فيه زيادة ، اذا اعتبرنا ان نهاية

١ الطبري (١٤٨/٢) (دار المعارف) ، المعارف (٢٧٨) .
٢ W. Phillips, P. 223.
٣ الطبري (١٣٩/٢) .

حكم الحبش في اليمن ، كانت في حوالى السنة (٥٧٥ م) . اما اخذنا برواية اهل الأخبار مثل حمزة ، الذي ذكر كما سبق ان بيّنت ان حكم (أرياط) دام عشرين سنة ، وان حكم ابرهة ثلاثاً وعشرين سنة ، وان حكم (يكسوم) سبع عشرة ، وان حكم مسروق اثنتي عشرة سنة ، فيكون ما ذكره (الطبري) وحمزة صحيحاً من حيث المجموع ، لأن مجموعهما (٧٢) سنة . ولكني أشك في ان حكم (أرياط) كان (٢٠) سنة . إذ يعني هذا ان حكمه استمر الى سنة (٥٤٥) للميلاد ، والمعروف من نص (ابرهة) المدون على جدار سد مأرب ، ان ابرهة رُم السد وقوتى جدرانته سنة (٥٤٢) للميلاد . ومعنى هذا انه كان قد استبد بأمر اليمن قبل هذا الزمن .

وقد تعرّض (حمزة) لهذا البحث ، ولفت النظر الى تفاوت الرواة في مدة لبث الحبشة باليمن وفي تأريخ اليمن كله . فقال : « وليس في جميع التواريخ تأريخ أسقم ولا أخلّ من تأريخ الأقبال ملوك حير ، لما قد ذكر فيه من كثرة عدد سني من ملك منهم ، مع قلة عدد ملوكهم » ، و « قد اختلف رواة الأخبار في مدة لبث الحبشة باليمن اختلافاً متفاوتاً »^١ . والواقع اننا نجد اختلافاً كبيراً بين اهل الأخبار في تأريخ اليمن ، حتى في المتأخر منه القريب من الاسلام . ويذكر (ابو حنيفة الدينوري) ، ان (وهرز) كان شيخاً كبيراً ، قد أناف على المائة ، وكان من فرسان العجم وابطالها ، ومن اهل البيوتات والشرف ، وكان اخاف السبيل ، فحبسه كسرى . ويقال له (وهرز بن الكاسجار) ، فسار بأصحابه الى (الأبله) فركب منها البحر . وذكر ان (كسرى) لما رده الى اليمن ، بعد وثوب الحبش به (سيف بن ذي يزن) ، وبقي هناك الى ان وافاه اجله ، فُبر في مكان سمي (مقبرة وهرز) ، وراء الكنيسة ، ولم يشر الى اسم الكنيسة^٢ ، ولعله قصد موضع (القليس) .

أما (المسعودي) ، فصير (وهرز) موظفاً كبيراً بدرجة (اصبهيد) ، ودعاه به (وهرز اصبهيد الديلم) . اي انه كان اصبهيداً على الديلم اذ ذاك . وذكر انه ركب ومن كان معه من اهل السجون البحر في السفن في دجلة ومعهم

١ حمزة (ص ٨٩) .
٢ الاخبار الطوال (ص ٦٤) .

خيولهم وعُددهم وأموالهم حتى أتوا (الأبله) ، فركبوا في سفن البحر، وساروا حتى أتوا ساحل حضرموت في موضع يقال له (مَثُوب) ، فخرجوا من السفن فأمرهم (وهرز) ان يحرقوا السفن ، ليعلموا انه الموت . ثم ساروا من هناك براً حتى التقوا ب (مسروق)^١ .

وذكر (المسعودي) ، ان (كسرى انوشروان) ، اشترط على (معديكرب) شروطاً : منها أن الفرس تتزوج باليمن ولا تتزوج اليمن منها ، وخراج يحمله اليه . فتزوج (وهرز) معديكرب بتاج كان معه وبدنة من الفضة ألبسه اياها ، ورتبه بالملك على اليمن ، وكتب الي (أنوشروان) بالفتح^٢ .

قال (المسعودي) ولما ثبت (معديكرب) في ملك اليمن ، أتته الوفود من العرب تهنيئه بعود الملك اليه ، وفيها وفد مكة وعليهم عبد المطلب ، وأميرة بن عبد شمس بن عبد مناف ، وخويلد بن أسد بن عبد العزى ، وابو زمعة جد اميرة بن ابي الصلت ، فدخلوا اليه ، وهو في اعلى قصره بمدينة صنعاء المعروف بغمدان ، وهنأوه ، وارتجل عبد المطلب خطاباً ، ذكر المسعودي وغيره نصه ، وأنشد (ابو زمعة) شعراً ، فيه ثناء على الملك وحمد للفرس (بنو الأحرار) الذين ساعدوا أهل اليمن ، على (سود الكلاب)^٣ .

وإذا أخذنا برواية (المسعودي) عن وفد مكة ، وبما يذكره اهل الأخبار عن مدة حكم الحبش على اليمن ، وهي اثنتين وسبعين سنة ، وجب ان يكون ذهاب الوفد الى صنعاء بعد سنة (٥٩٧) للميلاد ، وهذا مستحيل . فقد كانت وفاة (عبد المطلب) في السنة الثامنة من عام الفيل ، والرسول في الثامنة اذ ذاك فتكون وفاة (عبد المطلب) اذن في حوالي السنة (٥٧٨) أو (٥٧٩) للميلاد ، اي في ايام وجود الحبش في اليمن ، وقبل طردهم من بلاد العرب . اما لو اخذنا برواية الباحثين المحدثين التي تجعل زمن طرد الحبش عن اليمن سنة (٥٧٥) للميلاد ، او قبلها بقليل ، فيكون من الممكن القول باحتمال ذهاب (عبد المطلب) الى اليمن ، على نحو ما يرويه (المسعودي) .

- ١ مروج (٥٥/٢ وما بعدها) .
- ٢ مروج (٥٦/٢ وما بعدها) ، دار الاندلس .
- ٣ مروج (٥٨/٢ وما بعدها) .

لم يذكر اهل الأخبار السنة التي تولى فيها (سيف بن ذي يزن) الحكم على اليمن بعد طرد الحبش عنها ، ويرى بعض الباحثين انها كانت في حوالي السنة (٥٧٥) للميلاد . وان حكمه لم يكن قد شمل كل اليمن ، بل جزءاً منها : ويظهر ان الفرس استأثروا بحكم اليمن لأنفسهم ، اذ نجد ان رجالاتها تحكمها منذ حوالي السنة (٥٩٨) للميلاد تقريباً، وكان احدهم بدرجة (ستراب) (سطراب) Satrapie^١ .

وذكر (ابن دريد) ان من ذرية (سيف بن ذي يزن) ، (عُفَيْر بن زرعة بن عفير بن الحارث بن النعمان بن قيس بن عبيد بن سيف) . وكان سيد حير بالشأم في ايام عبد الملك بن مروان^٢ .

وروا ان (وهرز) كان يبعث العير الى كسرى بالطيوب والأموال فتمر على طريق البحرين تارة وعلى طريق الحجاز اخرى، فعدا بنو تميم في بعض الأيام على عيرة بطريق البحرين ، فكتب الى عامله بالانتقام منهم ، فسار عليهم وقتل منهم خلقاً ، وذلك يوم (الصفقة)^٣ . وعدا بنو كنانة على عيره بطريق الحجاز حين مرت بهم ، وكانت في جوار رجل من أشرف العرب من قيس ، فكانت حرب الفجار بين قيس وكنانة^٤ .

وامر كسرى بتولي ابن وهرز ، وهو (المرزبان بن وهرز) منصب ابيه ، لما توفي والده . فكان عليها الى ان هلك^٥ .

ثم امر كسرى (الينجان بن المرزبان) اي حفيد (وهرز) بتولي منصب ابيه حين داهمته منيته . فأمر كسرى بعده (خُرْتارة بن الينجان) ، فكان عليها ، ثم غضب كسرى عليه . واستدعاه الى عاصمته ، فذهب اليها ، فخلعه كسرى وعين باذان (باذام) في مكانه ، فلم يزل على اليمن حتى بعث الرسول^٦ . وذكر بعض اهل الأخبار ان (خذ خسرو بن السبحان بن المرزبان) هو الذي

Belträge, S. 121, W. Phillips, P. 223.

- ١
- ٢ الاشتقاق (٣٦٠/٢) .
- ٣ ابن خلدون (٦٥/٢) ، الاغانى (١٢١/١١) .
- ٤ ابن خلدون (٦٥/٢) ، اللسان (٣٥٤/٦) ، القاموس (١٠٨/٢) .
- ٥ الطبري (١٤٨/٢) ، صبح الأعشى (٢٥/٥) .
- ٦ الطبري (١٤٨/٢) .

حكم بعد (المرزبان بن وهرز) ، وهو الذي عزله كسرى ، وولى (باذان)
(باذام) بعده على اليمن^١ .

لقد كانت السنة السادسة من الهجرة ، سنة مهمة جداً في تاريخ اليمن . فيها
دخل (باذان) (باذام) في الاسلام ، وفيها قضى الاسلام على الوثنية واليهودية
والنصرانية وعلى الحكم الأجنبي في البلاد ، فلم يبق حكم حبشي ولا حكم فارسي^٢ .
ويرى بعض المستشرقين ان دخول باذان في الإسلام كان بين سنة (٦٢٨) و(٦٣٠)
للميلاد^٣ . ويذكر (الطبري) ، ان اسلام (باذان) ، كان بعد قتل (شبرويه)
لأبيه (كسرى أبرويز) ، وتولية الحكم في موضع والده . فلما جاء كتاب شبرويه
اليه يبلغه بالخبر ، ويطلب منه الطاعة ، اعلن اسلامه ، وأسلم من كان معه من
الفرس والأبناء^٤ . وقد ولى (شبرويه) الحكم في سنة (٦٢٨) للميلاد ، ولم يدم
حكمه اكثر من ثمانية اشهر . وقد عرف بـ (قباد)^٥ .

وقد ذكر ان (باذان) (باذام) كان من (الأبناء) ، أي من الفرس
الذين ولدوا في اليمن ، وأن الرسول استعمل ابنه (شهر بن باذان) مكانه ،
أي بعد وفاة والده^٦ .

ويذكر أهل الأخبار ان الفرس الذين عاشوا في اليمن وولدوا بهما واختلطوا
بأهلها ، عرفوا بـ (الأبناء) ، وبـ (بني الأحرار)^٧ .

ولما قتل (الأسود العنسي) (شهر بن باذام) (شهر بن باذان) ، واستبد
(العنسي) بأمر اليمن ، خرج عمال الرسول عن اليمن . فلما قتل (العنسي)
ورجع عمال النبي الى اليمن ، استبد بصنعاء (قيس بن عبد يغوث المرادي) ،
وتوفي الرسول والأمر على ذلك . ثم كانت خلافة ابي بكر ، فولى على اليمن
(فيروز الديلمي)^٨ .

١ صبح الاعشى (٢٥/٥) .

٢ الطبري (٦٥٥/٢) وما بعدها) .

٣ W. Phillips, P. 223.

٤ الطبري (٦٥٥/٢) ، وما بعدها) ، (دار المعارف) .

٥ Ency., 4, P. 178.

٦ الاصابة (١٧٠/١) .

٧ الاغانى (٧٣/١٦) .

٨ صبح الاعشى (٢٦/٥ ، ٤٦) .

وقد تطرق (ابن قتيبة) الى (ملوك الحبشة في اليمن) ، فذكر اسم (أبرهة الأشرم) ، ثم (يكسوم بن أبرهة) ، ثم (سيف بن ذي يزن) ، فقال عنه : انه (أتى كسرى أنو شروان بن قباذ) في آخر ايام ملكه - هكذا تقول الأعاجم في سيرها، وانا احسبه هرمز بن أنو شروان على ما وجدت في التأريخ^١ مما يدل على أنه نقل أخباره عن حملة الفرس على اليمن من كتب سير ملوك العجم ، المؤلفة بلغتهم ، كما نقل من موارد أخرى غير أعجمية . وقد ذكر أيضاً أن المؤرخين اختلفوا اختلافاً متفاوتاً في مكث الحبشة في اليمن^٢ .

وكون الأبناء طبقة خاصة في اليمن ، ولما قدم (وهر بن مَحْتَس) على الأبناء باليمن ، يدعوهم الى الاسلام ، نزل على بنات النعمان بن مِيزَج فأسلمن ، وبعث الى فيروز الديلمي فأسلم ، والى (مركبود) وعطاء ابنه ، ووهب بن منبه، وكان أول من جمع القرآن بصنعاء ابنه عطاء بن مركبود ووهب بن منبه^٣ .

ونجد عهد استيلاء الحبشة الأخير على اليمن عهداً كريماً من ناحيته التاريخية ، اذ دون جملة نصوص ، تحدثت عنها فيما سلف . أما عهد استيلاء الفرس على اليمن الى دخولها في الاسلام ، فلم يترك شيئاً مدوناً ولا أثراً يمكن أن يفيدنا في الكشف عن اليمن في هذا العهد . لم يترك لنا كتابة ماء، لا بالمسند ولا بقلم الساسانيين الرسمي يشرح الأوضاع السياسية أو أي وضع آخر في هذا العهد .

وحالنا في النصوص الكتابية في أول عهد دخول اليمن في الاسلام ، مثل حالنا في استيلاء الفرس عليها ، فنحن فيه معدمون لا نملك ولا نصاً واحداً مدوناً من ذلك العهد . وهو أمر مؤسف كثيراً ، وكيف لا وهو والعهد الذي قبله المتصل به ، من أهم العهود الخطيرة في تأريخ اليمن وجزيرة العرب ، ونص واحد من هذين العهدين ثروة لا تقدر بثمن لمن يريد الوقوف على التطورات التاريخية التي مرت بالعرب قبيل الاسلام وعند ظهوره .

١ المعارف (ص ٦٢٨) ، (ثروت عكاشه) .

٢ المصدر نفسه .

٣ الطبري (١٥٨/٣) .



بئر من آبار صنعاء

من كتاب : Jemen, das Verbotene Land

لمؤلفه : Günther Pawelke

هذا ولا بد لي من الاشارة الى أن حكم الفرس لليمن لم يكن حكماً فعلياً واقعياً ، فلم يكن ولاتهم يحكمون اليمن كلها ، وإنما كان حكمهم حكماً اسمياً صورياً ، اقتصر على صنعاء وما والاها ، أما المواضع الأخرى ، فكان حكمها لأبناء الملوك من بقايا الأسر المالكة القديمة والأقبال والأدواء . ذلك أن أهل كل

ناحية ملكوا عليهم رجلاً من حمير ، فكانوا (ملوك الطوائف)^١ فكان علي حمير عند مبعث رسول الله سادات نعتوا أنفسهم بنعوت الملوك، من بينهم (الحارث ابن عبد كلال ، ونعيم بن عبد كلال ، والنعمان قبيلى ذي رعين وهمدان ومعاقر وزرعة ذو يزن بن مالك بن مرة الرهاوي) . وقد أرسلوا الى الرسول مبعوثاً عنهم يخبره برغبتهم في الدخول في الاسلام ، وصل اليه مقفله من أرض الروم ، ثم لقيه بالمدينة وأخبره باسلامهم وبمفارقتهم الشرك ، فكتب اليهم رسول الله كتاباً يشرح فيه ما لهم وما عليهم من واجبات وحقوق^٢ .

همدان وصنعاء ومأرب :

وكانت همدان عند مبعث الرسول ، مستقلة في ادارة شؤونها ، وقد أسلمت كلها في يوم واحد على يد علي بن أبي طالب^٣ .
ولقد صارت (صنعاء) عاصمة لحكام اليمن منذ عهد الحبش حتى هذا اليوم ، أما (مأرب) فقد صارت مدينة ثانوية ، بل دون هذه الدرجة ، وأقل كذلك شأن ظفار ، وسائر المواضع التي كان لها شأن يذكر في عهد استقلال اليمن وفي عهد الوثنية . ويرجع بعض أهل الأخبار بناء صنعاء الى (سام بن نوح) ، وزعموا أنها أول مدينة بنيت باليمن ، وأن قصر (غمدان) كان أحد البيوت السبعة التي بنيت على اسم الكواكب السبعة ، بناه (الضحاك) على اسم الزهرة . وكان الناس يقصدونه الى أيام (عثمان) فهدمه ، فصار موضعه تلاً عظيماً^٤ .

- ١ المعارف (٢٧٨) .
- ٢ (قدوم رسول ملك حمير على رسول الله بكتابهم) ، الطبري (١٢٠/٣) (دار المعارف) .
- ٣ الطبري (١٣٢/٣) ، (دار المعارف) .
- ٤ صبح الأعشى (٣٩/٥ وما بعدها) ، (وكان الضحاك بناه على اسم الزهرة ، وخربه عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، فهو في وقتنا هذا - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة - خراب قد هدم فصار تلاً عظيماً ، وقد كان الوزير علي بن عيسى الجراح ، حين نفي الى اليمن وصار الى صنعاء ، بنى فيه سقاية وحفر فيه بئراً . ورأيت غمدان ردماً وتلاً عظيماً قد انهدم بنيانه ، وصار جبل تراب كأنه لم يكن) ، (وقد قيل ان ملوك اليمن كانوا اذا قعدوا في أعلى البنيان بالليل واشتعلت الشموع ، رأى الناس ذلك من مسيرة ثلاثة أيام) ، مروج (٢٢٩/٢ وما بعدها) ، (والبناء القائم مكانه يدعى باسمه ويختصر في صنعاء ، فيقولون: القصر ، وفيه معمل للخرطوش) ، مصطفى مراد الدباغ ، الجزيرة العربية (٢٨٤/١) .

وقد ورد اسم (صنعاء) لأول مرة على ما نعلم في نص يعود عهده الى أيام الملك (الشرح يحضب) (ملك سبأ وذوي ريدان) ، ودعيت فيه بـ (صنعو)^١ . وذكر الأخباريون أنها كانت تعرف بـ (ازال) وبـ (أوال)^٢ . أخذوا ذلك على ما يظهر من (أزال) في التوراة بواسطة أهل الكتاب مثل (كعب الأخبار) ووهب بن منبه^٣ . وذكروا أن قصر غمدان الذي هو بها قصر (سام بن نوح) ، أو قصر (الشرح يحضب) (ليشرح يحضب)^٤ . وذكروا أيضاً أنها أول مدينة اختطت باليمن بنتها (عاد)^٥ . ورووا قصصاً عن (غمدان) ، فزعم بعضهم أن بانيه (سليمان) أمر الشياطين ، فبنوا لبلقيس ثلاثة قصور : غمدان وسلحين وبينون . وزعم بعضهم أن بانيه هو : (ليشرح يحضب) أراد اتخاذ قصر بين صنعاء و (طيبة) ، فانتخب موضع (غمدان)^٦ . وقد وصف (الهمداني) ما تبقى منه في أيامه ، وأشار الى ما كان يرويه أهل الأخبار عنه^٧ .

نجران :

وأما (نجران) ، فقد كانت مستقلة بشؤونها ، يديرها ساداتها وأشرفها ، ولها نظام سياسي واداري خاص تخضع له ، ولم يكن للفرس عليها سلطان . وكان أهلها من (بني الحارث بن كعب) ، وهم من (مدحج) و (كهلان) ،

Glaser 424.

١ (وكانت تسمى أوال من الاولية بلغتهم) ، مختصر تأريخ اليمن المنقول عن كتاب العبر لابن خلدون ، (ص ١٢٥) ، تحقيق (H. C. Kay) (لندن ١٨٩٢ م) ،

٢ الاكليل (ص ١٨) .

٣ الاكليل (ص ٤) ، القزويني ، آثار البلاد (٥١) .

٤ مختصر تأريخ اليمن (١٢٥) .

٥ البلدان (٣٠١/٦ وما بعدها) ،

٦ Ency., II, P. 166, Niebuhr, Reisebeschreibung nach Arabien, I, S. 418, 421.

٧ الاكليل (١٢/٨ وما بعدها) .

وكانوا نصارى . ومن أشرفهم (بنو عبد المدان بن الديان) ، أصحاب كعبة نجران^١ وكان فيها أساقفة معتمون ، وهم الذين جاؤوا الى النبي ودعاهم الى المباهلة ، مع وفد مؤلف من ستين أو سبعين رجلاً ركباً ، فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرفهم ، منهم ثلاثة نفر اليهم يؤول أمرهم . العاقب أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم والذي لا يصدرون إلا عن رأيه ، واسمه عبد المسيح ، والسيد ثمالم وصاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه الأيهم (وهب) ، وأبو حارثة بن علقمة أحد بني بكر بن وائل ، أسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مِدْرَاسهم^٢ . ويذكر الأخباريون، ان أبا حارثة كان قد شرف في أهل نجران ودرس الكتب حتى حسن علمه في دينهم ، وصار مرجعهم الأكبر فيه . وكانت له حظوة عند ملك الروم ، حتى أنه كان يرسل له الأموال والفضة ليينوا له الكنائس، لما كانت له من منزلة في الدين وفي الدنيا عند قومه . وكان له أخ اسمه (كوز بن علقمة) . وقد أسلم مع من أسلم من الناس بعد السنة العاشرة من الهجرة^٣ .

ويظهر من الخبر المتقدم أن ملوك الروم كانوا على اتصال بنصارى اليمن ، وانهم كانوا يساعدون أساقفتهم ويمولونهم ، ويرسلون اليهم العطايا والهبات . وقد أمدوهم بالبنائين والفضة والمواد اللازمة لبناء الكنائس في نجران وفي غيرها من مواضع اليمن . وقد كان من مصلحة الروم مساعدة النصرانية في اليمن وانتشارها ، لأن في ذلك كسباً عظيماً لهم . فبانتشارها يستطيعون تحقيق ما عجز عنه (أوليوس غالوس) حينما كلفه انبراطور روما اقتحام العربية السعيدة والاستيلاء عليها .

وذكر أهل الأخبار أيضاً ، أن رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتباً عندهم ، كلما مات رئيس منهم فأضيفت الرئاسة الى غيره ، انتقلت الكتب اليه . وقد عرفت

- ١ الطبري (١٣٢/٣) (دار المعارف) . صبح الأعشى (٣٩/٥ وما بعدها) .
- ٢ ابن هشام (٢٢٢/٢ وما بعدها) ، ابن الاثير (١٢٢/٢) ، ابن خلدون (٥٧/٢) (الوفود) ، البلدان (٢٥٨/٨ وما بعدها) ، الطبري (١٣٩/٣) ، تاج العروس (٢٨٩/١) ، Raccolta, III, P. 128 .
- ٣ ابن هشام (٢٢٢/٢ وما بعدها) .

تلك الكتب بـ (الوضائع) . وكانوا يحتمونها ، فكلما تولى رئيس جديد ختم على تلك الكتب فزادت الخواتم السابقة ختماً^١ . وذكر علماء اللغة ان الوضائع هي كتب يكتب فيها الحكمة . وفي الحديث : أنه نبي وان اسمه وصورته في الوضائع^٢ .

ونجران أرض في نجد اليمن خصبة غنية ، وفيها مدينة نجران من المدن اليمنية القديمة المعروفة قبل الميلاد . وقد ذكرها (سترابون) في جغرافيته ، وسمّاها Negrana = Negrani في معرض كلامه على حملة (أوليوس غالوس) على العربية ، كما ذكرها المؤرخ (بلينيوس) في جملة المدن التي أصابها يد التخريب في هذه الحملة^٣ . كما ذكرها (بطلميوس) ، فسماها = Negara Metropolis = Nagera Mytropolis^٤ .

وفي ذكر (بطلميوس) لها على أنها (مدينة) دلالة على أنها كانت معروفة أيضاً بعد الميلاد . وأن صيتها بلغ مسامع اليونان .

ويعدّ النص الموسوم بـ Glaser 418, 419 ، من أقدم النصوص التي ورد فيها اسم مدينة نجران . إذ يرتفع زمنه الى أيام (المكربين) . وقد ذكر كما سبق في أثناء كلامي على دور المكربين ، في مناسبة تسجيل أعمال ذلك (المكرب) وتأريخ حروبه وما قام به من فتوح . وورد ذكرها في النص : (Glaser 1000) ، الذي يرتقي زمنه الى أيام المكرب والملك (كرب ايل وتر) آخر (مكربي) سبأ ، وأول من تلقب بلقب (ملك سبأ)^٥ . فورود اسم (نجران) في النصين المذكورين يدل على أنها كانت من المدن القديمة العامرة قبل الميلاد ، وأنها كانت من المواضع النابهة في أول أيام سبأ .

وورد اسمها في نصوص أخرى . كما ذكرت في جملة المواضع التي دخلها رجال

١ ابن هشام (٢٢٢/٢ وما بعدها) .

٢ اللسان (٣٩٩/٨) ، (و/ض/ع) .

٣ Strabo, XVI, IV, 24, vol., III, P. 212, Pliny, Nat. Histo., II, P. 458, VI, 160.

٤ Ptolemy, VI, 7, 37.

٥ Beiträge, S. 9.

حملة (أوليوس غالوس) على اليمن . وذكرها نص (الهارة) الذي يرتقي زمنه الى سنة (٣٢٨) بعد الميلاد . وقد كانت في أيدي الملك (شمر يهرعش) إذ ذاك على رأي أكثر الباحثين . اذ كان قد وسع رقعة حكومة (سبأ وذي ريدان وحضرموت) وأضاف إليها أرضين جديدة منها أرض (نجران)^١ ، وأشار الى تدمير ذلك الملك لـ (نبطو) ، أي النبط^٢ .

وقد ذهب (ريتر) الى أن *Negara Mytropolis* ، هو الموضع المسمى بـ (القابل) على الضفة الغربية لوادي نجران^٣ . أما (هاليفي) ، فذهب الى أنها الخرائب المسماة (الأخدود)^٤ . وذهب (كلاسر) الى أنها الأخدود أو (رجلة) ، أو موضع آخر في (وادي الدواسر)^٥ .

وقد ذكر (الهمداني) ان موضع (هجر نجران) أي مدينة نجران ، هو الأخدود . ومدح خصب أرض نجران . ولم يكن (نجران) اسم مدينة في الأصل كما يتبين من النص *CIH 363* ، بل كان اسم أرض بدليل ورود أسماء مواضع ذكر أنها في (نجران) نجران . ويرى بعض الباحثين أن مدينة (رجمت) كانت من المدن الكبرى في هذه الأرض ، ثم تخصص اسم نجران فصار علماً على المدينة التي عرفت بنجران^٦ .

وذهب بعض الباحثين الى أن (رجمت) (رجمة) هي (رعمة) المذكورة في التوراة . وقد تحدثت فيما سلف عن (رعمة) وعن تجار أهلها وتجار (شبا) *Sheba* مع (صور) *Tyrus*^٧ .

Beiträge, S. 11. ١

Beiträge, S. 11. ٢

Paulys-Wissowa, 32ter Halbband, 1574. ٣

Halevy, Rapport sur une Mission Archéologique dans le Yemen, in Journal Asiat., VI, XIX, 1872, 39, 90. ٤

Glaser, Skizze, II. ٥

Beiträge, S. 10. ٦

أخبار الامام ، الاول ، الاصحاح الاول ، الآية ٩ ، التكوين الاصحاح العاشر ، الآية ٧ ، حزقيال ، الاصحاح ٢٧ ، الآية ٢٢ ، Beiträge, S. 11. ٧

ويذكر الأخباريون أن قوماً من (جرهم) نزلوا بنجران ، ثم غلبهم عليها بنو حير ، وصاروا ولاية للتبابعة ، وكان كل من ملك منهم يلقب (الأفعى) . ومنهم (أفعى نجران) واسمه (القلمس بن عمرو بن همدان بن مالك بن متاب ابن زيد بن وائل بن حير) ، وكان كاهناً . وهو الذي حكم على حد قولهم بين أولاد نزار . وكان والياً على نجران لبليقيس ، فبعثه الى سليمان ، وآمن ، وبث دين اليهودية في قومه ، وطال عمره ، وزعموا انه ملك البحرين والمثلل . ثم استولى (بنو مذحج) على نجران . ثم (بنو الحارث بن كعب) ، وانتهت رياسة بني الحارث فيها الى بني الديان ، ثم صارت الى بني عبد المدان ، وكان منهم (يزيد) على عهد الرسول^١ .

ويرى بعض أهل الأخبار أن (السيد) والعاقب أسقفي* نجران اللذين أرادا مباهلة رسول الله هما من ولد الأفعى بن الحصين بن غنم بن رهم بن الحارث الجرهمي ، الذي حكم بين بني نزار بن معد في ميراثهم ، وكان منزله بنجران^٢ . وقد سميت (نجران) بنجران بن زيد بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان على رأي بعض أهم الأخبار . وقد اشتهرت بالأدم^٣ .

وقد أرسل الرسول خالد بن الوليد الى (بني الحارث بن كعب) بنجران ، وأمره أن يدعوهم الى الإسلام قبل أن يقاتلهم ، فإن استجابوا اليه قبل منهم ، وإن لم يفعلوا قاتلهم . فلما دعاهم الى الاسلام أجابوه ، ورجع خالد مع وفد منهم الى رسول الله ، فأعلنوا إسلامهم أمامه ، ثم رجعوا وقد عين الرسول (عمرو ابن حزم) عاملاً على نجران . فبقي بنجران حتى توفي رسول الله^٤ . ولما عاد خالد بن الوليد من نجران الى المدينة ، أقبل معه وفد (بلحارث بن

١ (مختصر تاريخ اليمن المنقول من كتاب العبر لابن خلدون (١٣٣ وما بعدها) ، مطبوع مع كتاب تاريخ اليمن لعمارة اليمنى ، سنة ١٨٩٢ ، بلندن ، بعناية : Henry Cassels Kay صبح الأعشى (٤٥/٥) .

٢ المحبر (١٣٢) .

٣ صبح الأعشى (٤٠/٥ وما بعدها) ، الاكليل (١٤/١) .

٤ الطبري (٣ / ١٢٦ وما بعدها) (سرية خالد بن الوليد الى بني الحارث بن كعب واسلامهم) .

كعب) ، فيهم قيس بن الحصين بن يزيد بن قنان ذي الغصنة ، ويزيد بن عبد المدان ، ويزيد بن المحجل ، وعبد الله بن قريظ الزياتي ، وشداد بن عبد الله القناني ، وعمرو بن عبد الله الضبابي . فلما رأهم الرسول ، قال : من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند ؟ ثم كلمهم ، وأمر (قيس بن الحصين) عليهم ، ورجعوا ، وكان ذلك قبل وفاة الرسول بأربعة أشهر^١ .

وقد اشتهرت نجران بثيابها ، ولما توفي الرسول ، كُفِّن في ثلاثة أثواب نجرانية^٢ .

وقد زار (فلي) وادي نجران ، وعثر على خرائب قديمة ، يرجع عهدها الى ما قبل الإسلام ، كما تعرف على موضع (كعبة نجران) . ووجد صوراً قديمة محفورة في الصخر على مقربة من (أم خرق) ، وكتابات مدوّنة بالمسند . وعلى موضع يعرف بـ (قصر ابن ثامر) ، وضريح ينسب الى ذلك القديس الشهيد الذي يرد اسمه في قصص الأخباريين عن شهداء نجران . ويرى (فلي) أن مدينة (رجمت) (رجمة) هي (الأخدود) ، وأن الخرائب التي لا تزال تشاهد فيها اليوم تعود الى أيام المعينيين^٣ . ويقع (قصر الأخدود) الأثري بين (القابل) و (رجلة) ، وهو من المواضع الغنية بالآثار^٤ . وقد تبسط (فلي) في وصف موضع الأخدود ، ووضع مخططاً بالمواضع الأثرية التي رآها في ذلك المكان^٥ .

ويتضح من مخطط (فلي) لمدينة (نجران) أنها كانت مدينة كبيرة مفتوحة ، وعندها أبنية محصنة على هيئة مدينة مربعة الشكل ، وذلك للدفاع عنها ، وبها مساكن وملاجئ للاحتباء بها ولتمكين المدافعين من صدّ هجمات المهاجمين لها^٦ .

١ الطبري (١٢٨/٣) ، سيرة ابن هشام (٣٤٧/٢ وما بعدها) .

٢ اللسان (١٩٥/٥) ، (ن/ج/ر) .

٣ Philby, Arabian Highlands, PP. 221, 238, 252, 257.

٤ فؤاد حمزة ، في بلاد عسير (١٩٠) (القاهرة ١٩٥١ م) .

٥ Philby, Arabian Highlands, P. 237.

٦ Beiträge, S. 11. Beiträge, S. 17.

أثر الحبش في أهل اليمن :

ولا بد أن يكون فتح الحبش لليمن قد ترك أثراً في لهجات أهلها ، ولا سيما بين النصارى منهم ، ممن دخلوا في النصرانية بتأثير الحبش من ساسة واداريين ومبشرين ، فاستعملوا المصطلحات الدينية التي كان يستعملها الأحباش لعدم وجود ما يقابلها عندهم في لهجاتهم لوثنيتهم . ولكنني مع ذلك لا أستطيع أن أقول إن تلك المصطلحات كانت كلها حبشية الأصل والأرومة ؛ لأن الكثير منها لم يكن حبشياً في المنشأ والوطن ، وإنما كان دخيلاً مستورداً ، جاءت به النصرانية من لغة بني إرم ، أو من اللغات الأخرى المنتصرة ، فأدخلتها الى الحبشة ، فاستعملها الأحباش وحرّفوا بعضها على وفق لسانهم ، ومنهم انتقلت بالفتوح وبالاتصال الى اليمن .

وقد عرض علماء اللغة المسلمون والمستشرقون لعدد من الألفاظ العربية ، ذكروا أنها من أصل حبشي ، وهي من الألفاظ التي كانت مستعملة معروفة قبل الاسلام ، وقد ورد بعضها في القرآن الكريم وفي الشعر المنسوب الى الجاهليين . ومثل هذه الألفاظ تستحق أن تكون موضع درس وتمحيص لمعرفة صحة أصلها ونسبها ودرجة أرومتها في الحبشية ، لمعرفة أثر الأحباش في العرب ، وأثر العرب في الأحباش ، لأن بعض ما نسب الى الأحباش من كالم هو من أصل عربي جنوبي ، هاجر من اليمن بطرق متعددة الى افريقية ، واستعمل هناك ، ظن انه حبشي الأصل ، وان العرب أخذوه من الأحباش .

وقد أثر فتح الحبش لليمن على سحن الناس أيضاً . فظهر السواد على ألوانهم عند غلبة الحبشة على بلادهم . وقد تأثروا بأخلاق الحبش كذلك .